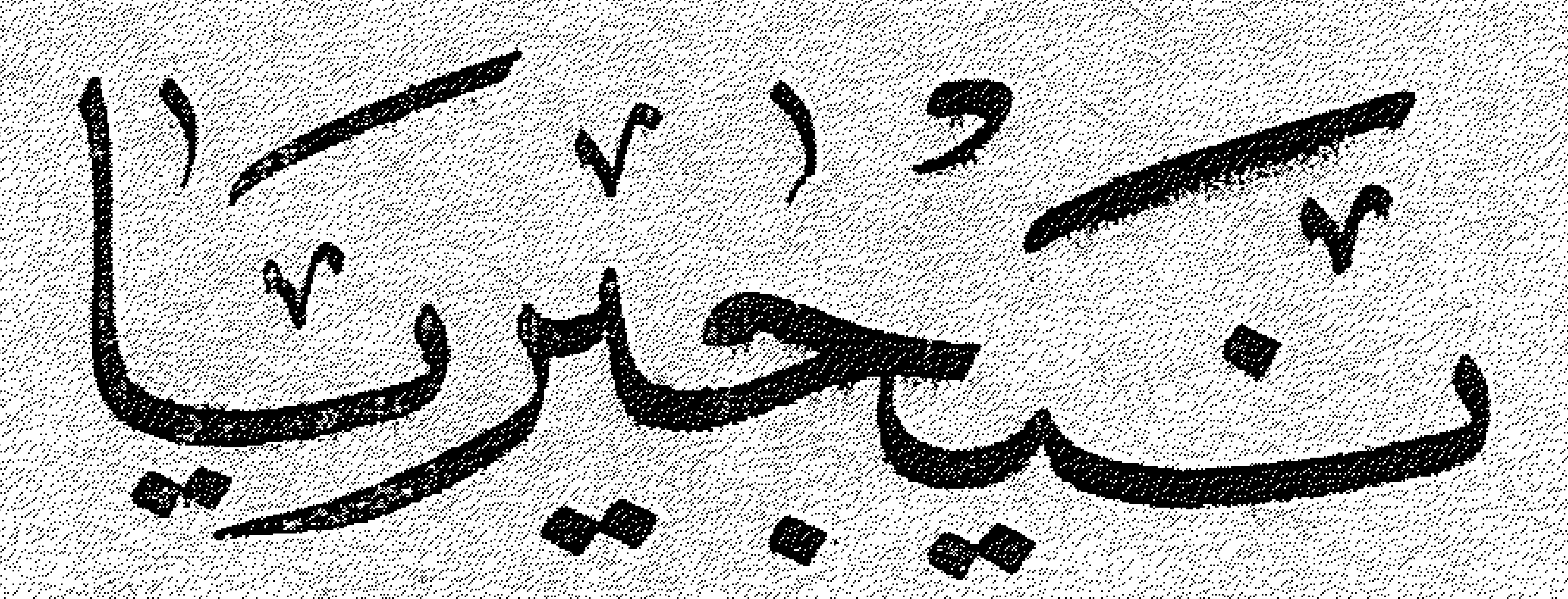
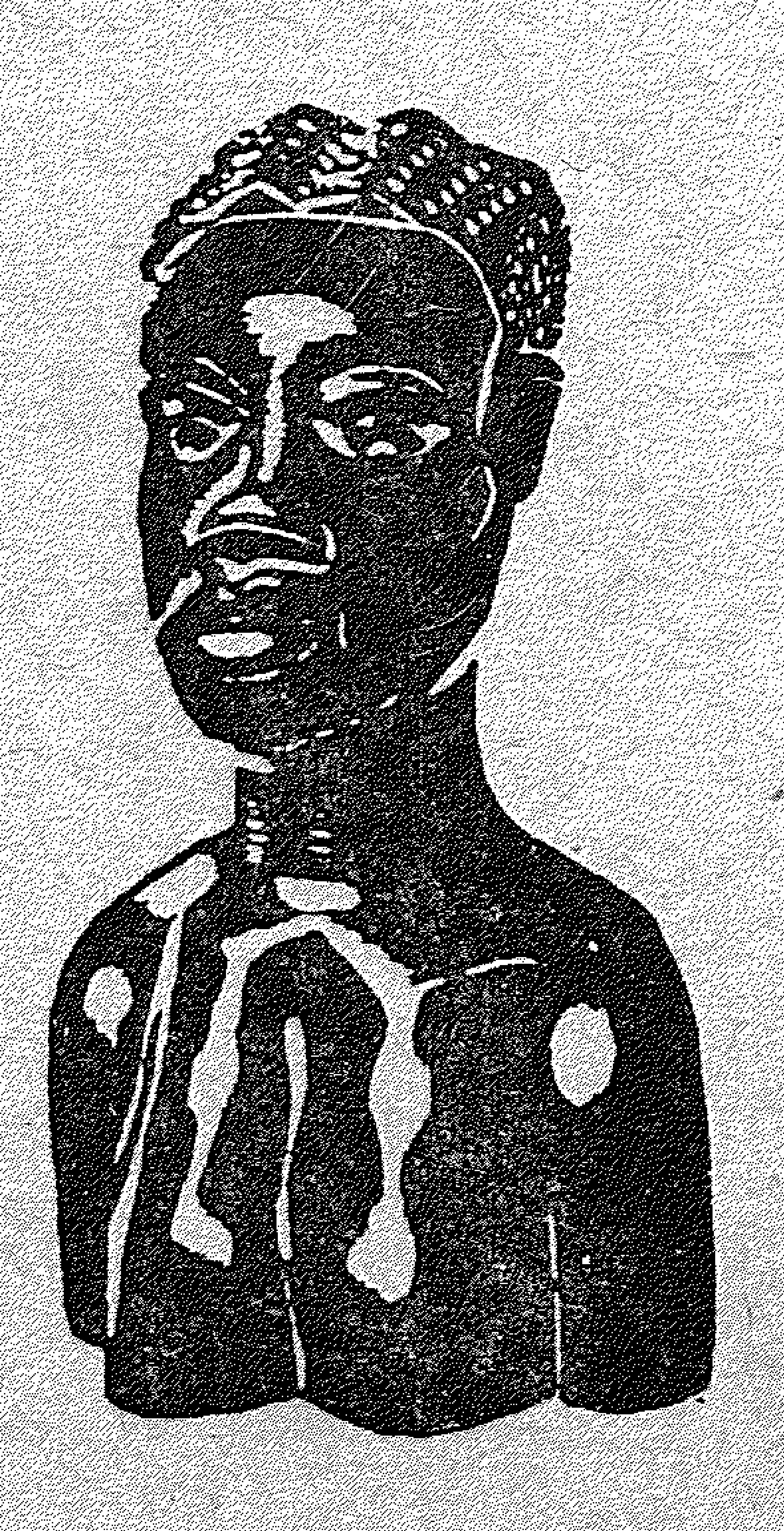


ثقافتها وقصصها الشعبية



ترجمها : عبد العليم السيد منسي

حررها : باربارا ك، وارين س. ووكر



نيجيريا

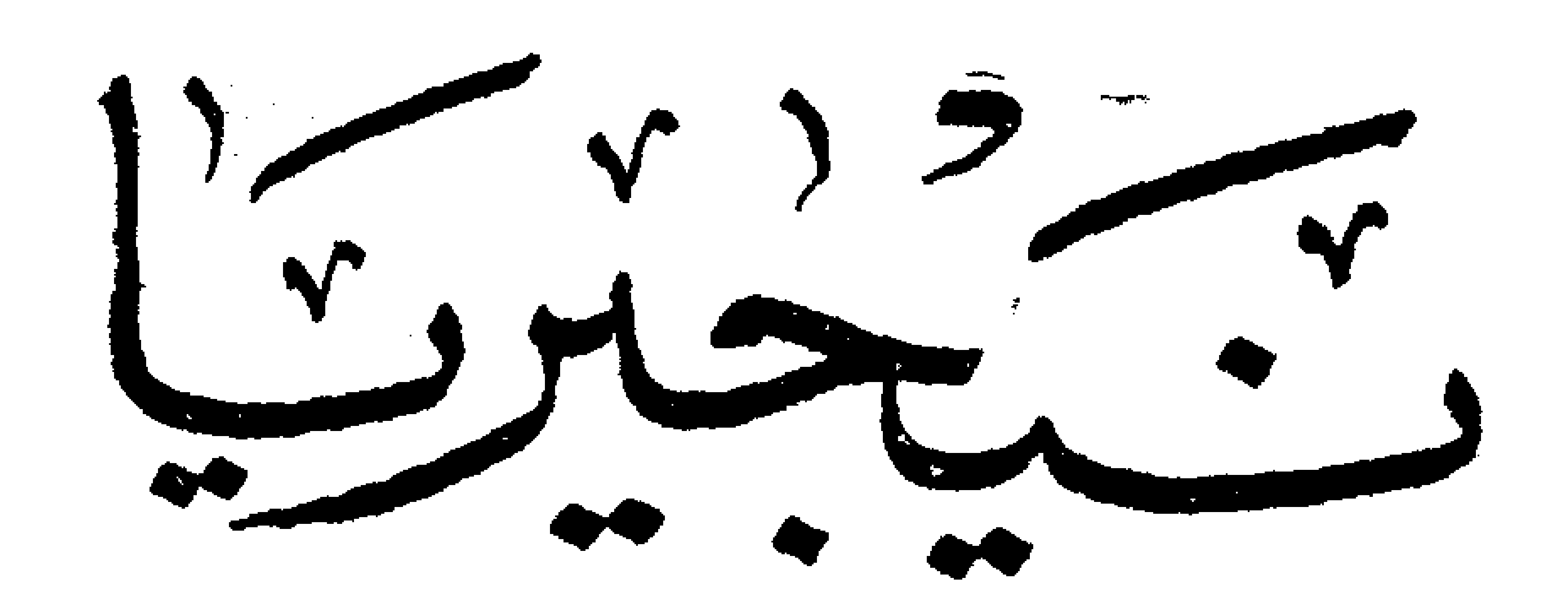
ثقافتها وقصصها الشعبية



رواها

أولا والى إيديوى

أوموتايو آدو



ثقافتها وقصصها الشعبية

دراسة تحليلية في العادات والتقاليد والثقافة

ترجمة وتقديم

عبد العليم السيد منسي

حررها

باربارا ك، وارين س. ووكر

مكتبة النهضة المصرية

لأصحابها حسن محمد وأولاده

مطبعة المعرفة

فهرس الـكتاب

صفحة

صفحة

القسم الثالث : « الأساطير الأخلاقية »

القسم الرابع : قصص المخادعين

صفحة

مقدمة المترجم

تختلف نيجيريا عن الدول النامية الأخرى فى أنهـا مازالت تحتفظ بثقافة شعبية مروية و بمحصول ضخم من القصص الشعبية بالرغم من تأثير ثقافة الغرب وتعليمه . فالقصة الشعبية فى نيجيريا كانت الوسيلة الوحيدة لنقل الثقافة القومية والأساطير والمعتقدات ووجهات النظر الإجتماعية من جيل إلى جيل لأنها كانت الوسيلة التى لا يمكن لشعب لا يعرف القراءة ولا الـكتابة أن يستخدم غيرها .

و يرجع الفضل لهذه القصص الشعبية فى مقاومة الاستعمار الغربى بما فى القصة من مرح مهذب و نقد موجه و براعة فى الإلقاء .

والقصة الشعبية كما نعلم هى وليدة الخيال والتجربة الإنسانية فما من شعب على وجه البسيطة لم يطف به خياله فى أعنة السماء حاملة بين كواكبها المتناثرة ، ثم يهبط به إلى البسيطة فيدور به بين غاباتها وجبالها ومازال به حتى يتعرف على حيواناتها و يخلق نوعا من الصلة والترابط بينه و بينها .

والقصة الشعبية هى الرواية التى توجه دائما إلى الجماعات البدائية التى لم تنل قسطاً من التعليم وتؤثر فى نفوسهم فتدمغها بما أرادت من مثل أو أهداف أخلاقية ، وتستمر كذلك حتى ولو مرت عليها تيارات ورياح عاتية آتية من خارج نطاقها .

والقصة الشعبية النيجيرية صلبة العود لها طابع محلى فى بعضها ، وعالمى

فى بعضها الآخر . وبالرغم من محاولة البريطانيون محو القصص الشعبية من حجرات الدراسة ، و بالرغم من ثورة المبشروين ضدها إلا أنها مازالت التعبير التلقائى الذى أوجدته طبيعة هذا الشعب المتأصلة فيه لتدعيم الدعوة القومية الحديثة التى اجتاحت الأرض هناك . إذن القصة الشعبية تقوم بعملية مقاومة واعية ضد عملية « البتر » الثقافى التى كان يجريها البريطانيون فى نيجيريا . وهى كذلك تستميل إليها أمزجة الشعب الوطنية وتشيع روح النقد فيهم .

وإن الجمهورية العربية المتحدة رائدة الفكر الأفريقى ورائدة الثقافة الأفريقية لتفخر بأن تحيي هذا التراث الأفريقى المروى وتضعه بين يدى مفكريها ، حتى نسير بالتراث الأفريقى إلى عالم النور وحتى لايطمسه التاريخ وتخفيه الثقافة الغربية التى تفرض نفسها فرضاً فى هذه الجهات ، وإننا مازلنا نؤكد أنه مهما حاول الإستعمار الأبيض من قتل روح الرجل الأفريقى المتجسدة فى ثقافته فلن يستطيع فعل ذلك فى نيجيريا ، لأنه مازال من الواضح أن الثقافة القومية فى نيجيريا مازالت كامنة فى قصتها المروية فى الوقت الذى تتلون به الدولة بالعادات والتقاليد الغربية السطحية .

عبد العليم السيد منسى

داسة تحليلية للقصة الشعبية في نيجيريا

— ١ —

فى العصور السالفة ؛ كانت القصة الشعبية بالنسبة لقراء نيجيريا هى قصة الجماعات البدائية التى لم تنل قسطا من التعليم : كما أنها كانت الوسيلة الوحيدة لانتقال الثقافة القومية . وكانت الأساطير والمعتقدات والخرافات والاتجاهات الاجتماعية تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق القصة الشعبية ؛ وهى الشكل العملى الذى أطلق عليه ويليام باسكوم « فن الكلام » . ولكن على عكس ما تفقده الثقافة المروية من تأثير فى الدول النامية بدخول الكتابة فيها نجدها لا تفقد تأثيرها بمجىء البريطانيين إلى نيجيريا و إدخالهم فن الكتابة فيها . وما زالت الثقافة المروية الموروثة تحتفظ بسيطرتها اليوم بالرغم من نظام التعليم المتزايد ومن الزيادة الملحوظة فى نسبة المتعلمين . ويفسر بعض المعلقين هذا بأنه مقاومة واعية لعملية التثقيف ؛ لأن الثقافة المروية الموروثة بعد أن أقصيت عن المناهج الدراسية ، و بعد أن ثارت البعثات التبشيرية ضدها أصبحت تعبيرا « دفيناً » يساند المشاعر القومية الحديثة المنبعثة فى كل بقعة من نيجيريا و يميل علماء الثقافة الإنسانية إلى التغاضى عن هذه النظرية وتعليل بقاء هذه القصص لعوامل اخرى ؛ وأهمها روح الهجاء القومى فى رواية الأساطير القومية ،

ومهما كانت الأسباب ؛ فما زال من الجلى وجود محصول وفير من ثقافة نيجيريا القومية فى وقت تحاول فيه الدولة اكتساب العادات والتقاليد الغربية وإن كان اكتساباً سطحيا .

ولقد حصلت على جميع القصص التى أوردتها فى هذا الكتاب من مذكرات مستر « أولاوالى إيديوى » و « أموتايو آدو » وهما طالبان من نيجيريا يتلقيان تعليمهما فى بلدهما فى الوقت الحاضر . وكل منهما سليل عائلة من شعب اليوروبا مازالت متأثرة جدا بالثقافة المروية المتوراثة كما أن كلا من هذين « السيدين » داو ماهر للتقاليد المتبعة فى ثقافتهم .

و « أولاوالى إيديوى » الذى روى لنا معظم هذه القصص مسيحى الديانة و يعد نفسه فى الوقت الحاضر لمهنة الطب . ولد فى « أبيوكوتا » بغرب نيجيريا مسقط رأس أبيه وأمه ؛ أما الآن فتعيش معظم عائلته فى لاجوس العاصمة الفيدرالية ؛ وقد كان والد وجد المستر «إيديوى» يعيشان فى هذه المدينة ، وكان كل من جدى « أولاوالى » عن والدته وأبيه زعيمين أولهما فى « أبيوكوتا » والآخر فى لاجوس. كما يطلق اسم أبيه على أحد شوراع لاجوس « إيديوى أولو » أى « إيديوى الشاب » لأنه كان يوجد شخصان مدعوان بهذا الاسم فى أيامه وقد كان هو أصغرهما . وقد سمع أولا هذه القصص الشعبية من أفراد العائلة أيام شبابه فى فترة تبلغ عشر

سنوات بدأت حينما كان فى السابعة من عمره حتى بلغ السادسة عشرة .

أما « أوموتايو آدو » فهو مسلم عاش طوال حياته فى لا جوس « كما أن أجداد والدته وأبيه كانوا يعيشون فى نفس المدينة » ، حتى ذهب إلى الولايات المتحدة لـكى يحصل على الشهادة الثانوية ثم على شهادة جامعية تؤهله للعمل بالـكيمياء وتوفى والده منذ سنوات مضت : فتولت والدته أولادها بالرعاية وهيأت لهم أسباب الراحة فى لاجوس [وكانت إحدى زوجات أبيه الثلاث] وهذه القصص التى يرويها لنا المستر « آدو » كان قد سمعها فى طفولته من أفراد عائلته ومن بعض أبناء الجيران الذين كان يعيش معهم وقد نال معظم تعليمه الأخلاقى عن القصص التعليمية التى أوردتها فى هذه المجموعة تحت عنوان « قصص أخلاقية » .

وتصور الاختلافات فى الأسس الثقافية لهذين الشابين الاختلافات الثقافية بين شعب اليوروبا إلى حدما . وعلى الرغم من أن كل منطقة جنوب غرب نيجيريا يطلق عليها الآن أراضى اليوروبا من أجل أغراض سياسية، فما ذلك إلا لأن شعب اليوروبا هو الوحيد المسيطر فى هذه المنطقة . فلا تجد فى هذه المنطقة إلا حوالى ٨٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة من سلالة أصل اليوروبا أما الباقين فهم سلالة قبائل عديدة تدخل قبيلة « الإجبا » و« البينيس » ضمنها ـ وقد كانت « أبيوكوتا » التى يعيش فيها إيديوى عاصمة قبيلة

«الإجبا» كما أن إيبادان أول عهدللجامعة النيجيرية كانت منطقة استيطان «للإجبا» . أما إبنين فقد كانت مركز «البينيس» وهى قبيلة اشتهرت لوقت طويل بفنها الدقيق والأعمال الفنية الاخرى. ويعيش فى أقصى شمال أراضى اليوروبا شعوب الهوساوالفولانى وكلاهما قبائل إسلامية اعتنق فيهما كثير من شعوب اليوربا الإسلام؛ وتدخل عائلة آدو ضمنهما. وبعد أن بزغت شعوب اليوروبا فى غرب نيجيريا كقادة للسياسة والثقافة فى القرن الثامن عشر امتصت الآن بدرجة كافية معظم القبائل الاخرى فى المنطقة وليست لغتهم فقط هى اللغة القومية الرسمية فى غرب نهر نيجيريا بل هى أيضا الدليل القاطع على سيادتهم فى المنطقة .

— ٢ —

تعتبر رواية الأساطير الشعبية بالنسبة لشعب اليوروبا وجهاً من أوجه النشاط الذى يقومون به فى أوقات فراغهم ، ودائماً يبدءون بعد العشاء ، حينما يلوذون بالاسترخاء والراحة . حيث يجتمع الشباب على عتبة أحـــد الأبواب ، تحت ضوء القمر ويبدأ أحدهم بتوجيه بعض الألغاز «الفوازير» إلى أصدقائه ، وتضمن لنا هذه العملية أن هذه الدائرة ستكون متيقظة ومنتبهة لأنه يبدو من الضرورى أن هذه المجموعة يجب أن تكون كذلك لأن القصة الشعبية فى هذا المجتمع هدفها تعليمى .

ومن أمثلة الفوازير التى يبدأ بها الشباب سمرهم :

س : من هو الإله الذى يأمر كل رجل وامرأة وطفل أن يقدم له الطعام ثلاث مرات يومياً ؟

ح : الفم أو البطن لأنهما يجب أن يتغذيا ثلاث مرات فى اليوم .

س : ما هو الشىء الذى يجرؤ على حك رأس الملك أو وجنتيه ؟

ح : شفرة الموسى حتى لا يصير أشعث شعر الرأس والوجنتين .

س : أى شىء يمكنه أن يعبر القصر دون أن يقوم بتأدية فريضة الاحترام أو إلقاء التحية ؟

ح : مجرى الماء ، لأنه لا يتكلم .

وبالطبع توجد فوازير كثيرة من هذا القبيل تعتمد على التشدق بالألفاظ والتلاعب بها تلاعب الهواء بريشة فى مهب الريح ولذلك فمن الصعب أن تترجم .

والقصص الشعبية عند شعب اليوروبا والشعوب الأفريقية الأخرى ما هى إلا عرض تمثيلى وموسيقى كما هى عرض قصصى . إذ يتقمص الراوى نفسه أبطال قصصه ويحاول تقليدها من حركات وإيماءات أثناء حكاية القصة التى يرويها . وقد وصلت هذه الحركات التمثيلية فى روعتها حداً جعل الرواة الذين كانوا يروونها يقومون بتقليد شخصيات القصة المختلفة

بعد أن يندمجوا جميعاً فى أحداثها . فعند ما كان المستر إيديوى يصف المحاولة اليائسة التى قام بها الصياد حتى يحتفظ بالتمساح فى « صياد كان ملكا » كان يفصل الهواء بحركاته التخيلية بفأسه الخيالى متقفياً أثر الفريسة الهاربة ناسياً أنه كان يقف أمام « ميكروفون » الحقيقة فى حجرة من الطراز الأمريكى وهو عنها غريب . كما أن المستر آدو حينما كان يحكى « الفيل والسلحفاة » فى المحاولة التى قامت بها السلحفاة لجذب الملك الفيل إلى القرية مدد نفســـــه تماما مثلما أظهرت السلحفاة احترامها للملك « المختار » .

وفى كثير من القصص التى كان يرويها المستر « آدو » كان ينطلق تلقائياً مؤدياً القصائد التى كانت تؤديها شخصيات قصصه بلغة اليوروبا نفسها . ولـكن الأصوات الموسيقية لتلك القصائد كانت دقيقة جداً حتى أن البيانولا يأتى بها تماماً . كما أن تأثيرها الموسيقى كان مخيفاً ومتكيفاً مع جو القصة ومضمونها . كما أن تبادل الأغنيات بين الطائر الصغير والسلحفاة فى « الفيل والسلحفاة » تضفى روعة إلى المضمون وتزيد من حيرة الفيل وتردده فى اتخاذ قرار ما . كما أنه فى « الفتاة التى عرفت الملك » نجد أن الموسيقى كانت تستخدم فى الرسائل المتكرره التى كان يلقيها الببغاء للتأثير على المستمع و إقناعه بقصة ذات مغزى إجتماعى .

وفى أحيان كثيرة قد تشترك دائرة المستمعين نفسها فى التمثيل أو فى غناء الكورس ، وأحياناً أخرى تقرع الطبول ، أو تعزف على الآلات الأخرى لزيادة تأثير القصة . وعند الانتهاء من تمثيل إحدى هذه القصص بنجاح يعبرون عن رضائهم بالتصفيق حتى تحمر الأكف .

ولهذا فإننا نقيس نجاح القصة ومدى تذوق المستمع لها بتأثيرها على عقول المستمعين . وفى تحقيقها لهدفها الأخلاقى واستخدامها لجميع الوسائل الفنية مثل الحركات و إلقاءالأغانى والأناشيد وعزف الموسيقى والذبذبات فى سرعة إلقائها ورخامة الصوت عند الأداء

(٣)

السمة المميزة لهذا الكتاب من وجهة نظر علم الأجناس ، هى الطريقة التى يصور بها التغيرات التى حدثت فى القصص التقليدية حتى تتناسب مع مطالب الحياة الثقافية المتغيرة ، وينتج عن هذا فى بعض الحالات تعديل الحكايات القديمة لدرجة أنه فى بعض الأحيان ينجم عن هذا تغييرات كلية فى حبكة القصة وموضوعها .

ولكننا كنا نقوم ببعض هذهالتعديلات عن قصد، غرضنا بذلك أن نجعلها أكثر قبولا وفهما بالنسبة للمستمع الغير أفريقى . فى القصة الأولى

مثلا بدلا من أن نجد أن الزوجة الأولى « تعد المائدة بينما » تهجر الزوجة الجديدة سريرها وترقد على الأرض « فإننا نجد أن الزوجة الثانية تترك كرسيها وتجلس على الأرض ، و ... ترفض أن تتناول غذائها مع زوجها وزوجته الأخرى » ونجد بالطبع أن المستمع العربى والأمريكى والانجليزى مستعد لتذوق هذه التعديلات لأنها لا تتصل بالمرة بالجو الثقافى الواقعى للقصة .

ومن التقاليد المرعية أن تسكن زوجات الرجل الواحد فى المجتمع المتعدد الزوجات كل فى كوخ خاص بها ، وبهذا لا تسنح الفرصة للزوجة الأولى لمراقبة ماتقوم به الزوجة الثانية أثناء نومها ، كما أنهم فى العادة يستعملون الحصر المفروشة على الأرض كأسرة لهم ، ولا يستخدمون الموائد مطلقا أضف إلى ذلك أنه غير مسموح للزوجة بتناول الغذاء مع زوجها . وعلى هذا نجد أن معرفة الراوى بالأشكال الثقافية الغربية أعطته الفرصة على تكييف موقف عائلى معقول — ولولاه لكان من الممكن أن يثير الاضطراب فى نفس المستمع العربى والأمريكى (وسنبين فى التعليقات الخلفية بعض التعديلات الأخرى الخاصة بكل قصة على حدة) . أما التعديلات الغير مقصودة — فيمكن إرجاعها إلى طول مدة غياب الراوى عن نيجيريا مما أظهر إلى الوجود ما يشعر به من ألفة

نحو التقاليد المكتوبة الغير أفريقية وأظهر بذلك مهارته على التعديل للأفضل . وقد كان نتيجة لهذا النوع من التغيير أن خرجت لنا القصة الدرامية الطويلة « الصياد والساحرة » بشكلها الحالى . فقد اختصرت هذه القصة بإدخال نوع من التعليق لانجده مطلقاً فى الطريقة التقليدية لتقديم القصة ، إذ يقول : (عجيب حقا ؛ أنه بالرغم من مهارة الصياد فى تعاويذ الأعمال السحرية التى يمارسها أهل بلده ، أنه لا يمكنه أن يستنتج أن تلك المرأة كانت ساحرة » لأنه لو وجد مثل هذا الشك فى مدى مقدرة الصياد فإنه سيهتك حتما وجهة النظر العامة فى دورهم الذى يقومون به فى حياة اليوروبا الثقافية) ولكن الراوى بهذه الطريقة قد أعد المنظر المناسب للأحداث التالية دون أن يذكر أحداثا كثيرة من الواضح أنها موجودة فى القصة الأصلية التى تحكى «بنيجيريا» . وعلى أية حال فإن أوجه الاختلاف الموجودة من هذا النوع لا تتعدى الحريه الفنية التى نسمح بها للرواة الناضجين ويجب أن نلاحظ أن مدى التعديل الموجودفىالقصص التى رواها مستر «إيديوى»أعظم بكثير منها فى القصص التى رواها المستر « آدو » . ومن المحتمل أنه يمكننا إرجاع هذا الإختلاف إلى اختلاف الجو الدينى الذى عاش فيه كل منهما . لأن الاسلام كان حكيماً فى اقتلاع الروح المحلية فى المناطق التى دخلها .

(٤)

توجد طرق مختلفة كان من الممكن أن ننظم على نمطها القصص التى وردت فى هذا الكتاب ـ ولكننا قسمنا هذه القصص إلى مجموعات تتناسب بقدر الإمكان مع فهرس الأنواع لتومبسون » . ففى القصص الأربع الأولى التى وردت فى القسم الأول « عشاق من الجن » يسرى موضوع الزواج بين الإنسان وبعض المخلوقات الغير طبيعية المختلفة . أما القصص « السببية » التى وردت فى القسم الثانى فيمكننا أن نجد مثيلاتها فى جميع المجتمعات البدائية ، وهى تصور مجهودات البشر فى تفسير طبيعة العالم المادى . وإننا لنجد أن الاتجاه الأخلاقى قوى جدا فى معظم القصص الشعبيه النيجيرية لدرجة أننا نجد القسم الثالث الخاص « بالقصص الأخلاقية » لا يستحق أن يشغل قسما خاصا به وعلى أى حال فإن هذا القسم عبارة عن أساطير تذكرنا معظمها « بآيسوب » ؛ والغرض الوحيد من وجودها هو الناحية الأخلاقية الكامنة فيها ؛ وهذه القصص فى العادة قصيرة ومباشرة ، وترمى إلى التعليم المكشوف . أما فى القسم الرابع الخاص « بقصص هروب المخادعين » فهو على النقيض من القسم السابق، فهو يسلى بقدر ما يعلم لأن المستمع يستمتع بالمهارة التى يستغلها البطل فى تحقيق نجاحه أما قصص القسم الخامس فهى تشبه القسم الأول وكلها تعالج

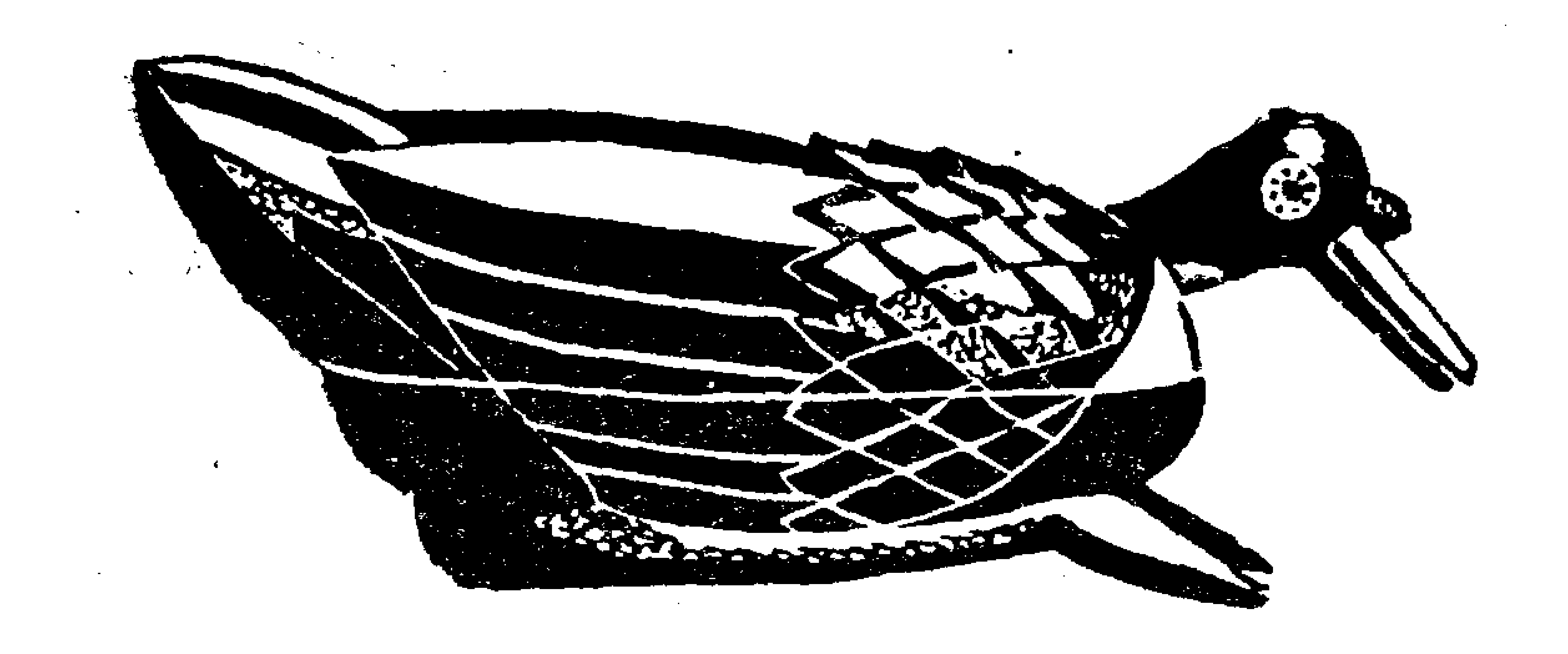
موضوع واحد وهى : المصاعب التى تقابلها النساء فى الحمل فى بعض الاحيان.
فالخصوبة هى المفتاح الذى يوصل المرأة فى نيجيريا إلى مركز اجتماعى
مستقر بين العائلات المتعددة الزوجات ، بل ويتعداها إلى المجتمع بوجه عام .

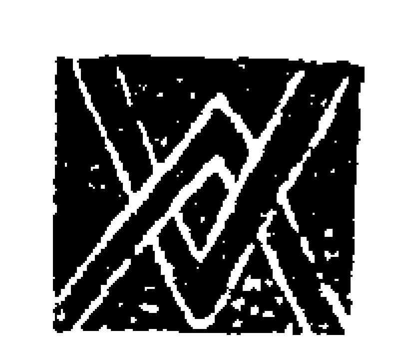
ولقد شط خيال شعب « اليوروبا » لدرجة أن اهتمامهم بالخصوبة
جعلهم يذكرون أن الرجال يحملون أطفالا فى بعض الأحيان . وإننا لم
نحاول تحوير هذه القصة بإعطائها شكلا أو أسلوبا معينا أو أن نحدث
فيها تغييرا بأى وجه من الوجوه إلا بوضع الضمير « هو » للإشارة إلى
الشخص المذكر « وهى » للإشارة إلى المؤنث (لأنه لا يوجد فى لغة
اليوروبا ما يميز النوع فى حين أن الرواة عندنا يميلون دائما إلى استخدام
« هو » « وهى » ، على الدوام) وبالرغم من أنه كان من الممكن تعديل
القصص إلى شكل أفضل بإعادة تنظيمها أو تنقيحها إلا أننا كففنا أيدينا
كلية عن هذه المحاولات .

ولقد أخذت هذه القصص بحذافيرها عن الكلام المروى . ولقد تم
جمعها فى مدة خمس سنوات ابتدأت أول الأمر بزيارات الرواة المتكررة
لمنزلنا ثم تمت بعد ذلك أثناء الاجتماعات التى كنا نعقدها فى مكاتبنا
بالكلية أو فى معمل كلية اللغة « بيلا كبيرن » . وبعد أن اعتاد الراويان
العمل على الآلات الحديثة أصبحت لديهم الرغبة فى رواية قصصهم لنا .
ومعظم القصص التى تظهر فى هذا الكتاب قد نقلناها عن جهاز تسجيل
كان يسجلها أثناء روايتها .

القسم الأول

أساطير عشاق من الجن





١ - الصياد والغزالة

في سالف العصر والأوان ، كان يعيش في قرية صغيرة من قرى نيجيريا شاب كريم المحتد ، إضطرته الظروف أن يحترف مهنة الصيد ، وكان شابا وسيما في قريته ، بل كان أشدهم وسامة وشهرة ، لأنه كان يأبى العودة إلى منزله خالي الوفاض . وتضافرت كل من شهرته ووسامته وجعلتاه المثل الأعلى لأقرانه في كل أنحاء القرية .

وذات يوم ، كان ذاهباً إلى غابة قريبة رغبة في الصيد ، وكان من عادته أن يتسلق إحدى الأشجار و يرقب فريسته . . لكنه في هذه المرة لم يلمح شبحاً لصيد رغم أنه ظل فوق الشجرة أربع ساعات متوالية ، حتى آن أوان عودته إلى المنزل ، وكانت الشمس على وشك الغروب ، وبدأ الظلام يرفرف بجناحيه محلقاً على السكون ، وحينئذ قرر النزول من فوق الشجرة والعودة إلى منزله .

وعلى حين فجأة ، لمح غزالة ، وحينما هم بتسديد سهمه نحوها إذا هى قد تخلصت من جلودها . وفى غمرة دهشته ، وقف يراقبها ، فإذا هو يرى إمرأة رائعة الجمال ، فاستمر فى مراقبتها وسرعان ماأخذت هذه المرأة فى إخفاء جلودها بهدوء واهتمام مبالغ فيهما تحت صخرة قريبة من الشجرة التى كان الصياد الفتى يرقبها بالقرب منها .

وكان الصياد يرقب كل ما كان يجرى حوله ، لـكنه لم ينبس ببنت شفة. وبعد ذلك انسلت المرأة من مكانها هذا ، وما أن اختفت حتى نزل الصياد ، وذهب إلى الصخرة ورفعها وتناول جلد الغزالة ، وبدأ يفحصه جيداً ثم وضعه تحت إبطه ، واتخذ طريقه إلى المنزل لا يلوى على شىء .

وفى صبيحة اليوم التالى، حمل الفتى الصياد جعبته التى بها جلد الغزالة وحملها على كتفه وتناول رمحه وقوسه وتوجه إلى الغابة . وكما فعل فى اليوم السابق تسلق الشجرة ولـكنه فى هذه المرة أخذ يبحث عن امرأة جميلة بنفس الشغف الذى كان يبحث به عن صيده ، وبعد ســاعات لم ير إلا ثعبانا استطاع أن يهرب من وجهه فى اللحظات الأخيرة قبل أن يمسه سهم الصياد .

وحان وقت الغروب ،وهو وقت عودته إلى المنزل . وفى اللحظة التى بدأ فيها نزوله من فوق الشجرة ، شاهد امرأة الأمس متجهة نحو الصخرة. فظل

الصياد هادئا فوق الشجرة مراقبا ما يحدث . فشاهدها تجرى جيئة وذهاباً وهى تضرب نفسها وتلعنها فى سرها وتملكها الاضطراب . فصاح الصياد الذى كان يراقبها طوال هذه المدة قائلا: عم تبحثين؟ فأجابته المرأة : « أوه إننى أبحث عن جلد غزالة كنت قد تركته هنا بالأمس: «فسألها الصياد»: بماذا تكافئيننى لو استطعت أن أحضرلك جلد الغزالة ؟ »

ولكن شوق المرأة فى الحصول على جلد الغزال غطى على فكرة إستطاعة الصياد مساعدتها . وكل ما فعلته أنها استمرت فى البحث تحت الأشجار فى الكهوف المجاورة وفى كل مكان ظنت أنه ربما يكون فيه .

فناداها الصياد ثانية وقال : « هل تعتقدين أننى أستطيع معاونتك فى حصولك على جلد الغزالة ؟ » .

فرفعت المرأة عينيها إلى مقلتى الصياد وفى هذه اللحظة تملكتها رغبة حصولها على جلد الغزالة ، بالرغم مما انتابها من قلق وأجابته بقولها : « لك منى ماتشاء لو استطعت أن تهدينى إلى سبيله » .

فأجابها الصياد : « سأعطيك ما تبحثين عنه بشرط أن تصبحى زوجة لى » .

فردت عليه المرأة بابتسامة على شفتيها وقد كسا وجهها الخجل : « كيف

ذلك ؟ ليس ذلك فى استطاعتى ورجائى أن تعطينى جلد الغزالة إذا كان فى حوزتك ، ولا داعى للمساومة » .

فقال لها الصياد : « حسناً .. لن أحضره لك إذن! مادمت لاتوافقين على هذا الشرط » .

وأخيراً وبعد لأى ، وافقت المرأة على أن تكون زوجة لهذا الفتى الصياد بشرط أن يكون اتفاقهما سراً لايعلم به أحد سواهما. فأقسم الصياد على ذلك ووعدها بعدم إفشائه لأى إنسان واقتنعت المرأة أثر قسمه ، ولكنها لم تر ضرورة للحصول على جلد الغزالة مرة اخرى مادامت قد وعدته بالزواج منها ولأنها لم تكن ترغب فى تقمص شخصية الغزالة ، ولذلك احتفظ الصياد بهذا الجلد فى جعبته .

وعلى الأثر ، اصطحب الصياد المرأة إلى منزله ، وقابلهما سكان القرية من جيرانه عند دخولهما القرية ، ودفعهم حب الاستطلاع إلى التفرج على هذه المرأة الجميلة . ولما تساءلوا عمن تكون ، أشبع الصياد فضولهم قائلا بأنه قابلها فى مدينة قريبة كان قد ذهب إليها رغبة فى الصيد ليس إلا ٠ وأمره الملك بتزوجها

وكان هذا الصياد متزوجا امرأة اخرى ، وكانت زوجته الاولى قد نظفت منزلها وأعدت لزوجها العشاء قبل وصوله لأنها كانت على علم

بوقت عودته . وتملكتها الدهشة حينما رأت زوجها يدخل بصحبة امرأة فسألت زوجها : « ماشأن هذه المرأة ؟ » .

فأجابها زوجها بأنه قابلها فى مدينة قريبة وأجبره ملك تلك المدينة على أن يتزوجها — ومن ثم — لم تكن لديه حرية الاختيار فكان عليه آنذاك أن يصحبها إلى المنزل . وكانت المرأة — والحق يقال — جميلة آية فى الجمال فقال الرجل لنفسه : « ربما تعيش المرأتان دون مشاجرات » .

ولكن الزوجة الجديدة بالرغم من جمالها تصرفت تصرفات لاتقبلها الإنسانية ...

فحينما كانت تعد الزوجة الأولى مائدة الطعام كانت الاخرى (فى بعض الأحيان) تفضل إلتهام الطعام توا بفمها ، وكانت إما أن ترتشف الحساء من الطبق وإما أن تلعقه . ونتيجة لهذا ملأت الحيرة الزوجة الأولى وراودتها الشكوك فى أصل تلك المرأة ، وحاولت جاهدة حث زوجها على أن يخبرها بمزيد من المعلومات عن هذه المرأة لأنها — ولاشك فى ذلك — ليست إنسانة طبيعية . ولكن زوجها الصياد رفض أن يبوح لها بشىء لأنه كان يخاف اخبار زوجته بقصة ذلك التحول . ولم يكن هذا هو ما يمنعه فقط ، بل كان ايضاً يخشى ألا يوفى بوعده .

وتركت الزوجة الاولى الموضوع دون مناقشة ، ولكن هذه الزوجة

الجديدة استمرت في شذوذها . إذ أنها كانت في بعض الاحيان تترك فراشها وترقد على الارض . ولعدة مرات كانت تترك مقعدها لتجلس على الارض ، كما كانت ترفض تناول الطعام مع زوجها أو مع الزوجة الاخرى وكانت بعد أن يذهب كل واحد إلى فراشه ، تغادر هي فراشها في منتصف الليل وتذهب إلى المطبخ لكي تأكل بمفردها فتات الطعام الموجود في بعض الاواني .

ولما لاحظت الزوجة الأولى تكرار هذه الحركات الشاذه طلبت من زوجها أن يخبرها بالمزيد عن كينونة هذه المرأة ، ولكن زوجها رفض ذلك مرة أخرى وهو يقول : « إنني أعرف مبلغ محبتك لى ولكنني لا أستطيع أشباع فضولك بأكثر مما أخبرتك به ، لأنني لم أقل سوى الحقيقة وهي كل ما أعرفه » .

ولما كان الضيق والشكوك يساورانها استشارت إحدى صديقاتها علها تجد عندها جوابا شافيا . فنصحتها صديقتها بأن تحاول إعطاء زوجها خمرا حتى يثمل ، ومن المؤكد أنه سيفشي السر تحت تأثير هذه الخمر .

واحتفظت الزوجة لنفسها بنصيحة صديقتها . وفي اليوم التالي أعدت أكلة دسمة لزوجها خصيصاً لهذا الغرض . وفي هذه الأثناء كانت الزوجة

الجديدة فى الخارج تحضر الماء اللازم للمنزل . وحينما أسكرت الخمر الزوج ، سألته زوجته الأولى : «زوجى العزيز .. ألا تستطيع إخبارى بمزيد من المعلومات عن هذه المرأة ؟ إننى فى غاية الشوق إلى معرفة ذلك .

وحينذاك قص الصياد القصة كاملة ، وأخبر زوجته عن رؤيته لهذه المرأة وهى تتحول من غزالة إلى امرأة جميلة ، وعن مجيئها فى اليوم التالى للبحث عن جلد الغزالة ، وعن وعده لها ... وبالاختصار أخبرها عن كل شيء . وأخبرها كذلك بأنه أخفى جلد الغزالة فى الدور العلوى ، وكثيراً ما صعد إلى الطابق العلوى ليرى جلد الغزالة ، وفكر فى حرقه ، ولكنه كان يتخاذل فى كل مرة ،لأنه كان يخشى من تأثير حرق هذا الجلد المسحور ، ولهذا احتفظ به طوال تلك المدة . ولم تنبس زوجته بكلمة واحدة بعد أن انتهى من قصته . وفى صبيحة اليوم التالى ذهب الصياد إلى غابة قريبة للصيد . وكان من المعروف أنه يعود إلى منزله دائما بعد الغروب . وبينما كان بعيدا عن المنزل فى ذلك اليوم كانت تقوم زوجته الأولى بإعداد بعض الطعام بمساعدة زوجته الثانية ، ومصادفة ، وضعت الزوجة الثانية سكرا فى الحساء بدلا من ملح الطعام . فنهرتها الزوجة الأولى بشدة قائلة : « يبدو أنك لم تتأثرى بطول المدة التى قضيتها إلى جوارنا هنا ، ويبدو أنك لن تتخلى أبدا عن سلوكك الحيوانى» . فسألتها الزوجة الجديدة فى حيرة : « ماذا تقصدين ؟ »

فأجابتها الزوجة الأولى : « إننى أحاول إخبارك فقط بأنه يجب عليك أن تتصرف مثلما يفعل البشر وعليك أن تتخلى عن هذا السلوك الحيوانى . »

وشعرت الزوجة الجديدة بضيق بالغ فتحدت الزوجة الأولى للقتال . وهرولت الزوجة الأولى وهى فى أوج غضبها إلى الطابق العلوى وأحضرت جلد الغزالة . ورمته فى وجه المرأة قائلة : « حسنا إننى مسرورة جدا لو أنك تركت هذا المنزل » .

واندفعت الزوجة الجميلة فى حدة غضبها ،وأمسكت بالزوجة الأولى وقتلتها . ثم ذهبت إلى حجرتها ولبست جلدها وتحولت إلى غزالة مرة أخرى وتركت المنزل وذهبت إلى الغابة . وهناك وجدت الصياد وبينما كان الصياد يصوب سهمه إلى الغزالة رفعت صوتها قائلة : « إنتظر لا تقذفنى بسهمك إننى وثقت فيك ولكنك حطمت هذه الثقة . فلقد صنعت فراشك بنفسك وعليك أن تنام فيه . إذهب إلى المنزل لترى ماحدث هناك فقد آمنتك على حبى ولكنك كنت خائنا » .

وتملكت الصياد الدهشة فيما تعنيه الغزالة بقولها ، واعتراه ذهول عجيب ،ولكن لم يكن فى مقدرته أن يفعل شيئاً غير الذهاب إلى المنزل وعند وصوله لم يجد الزوجتين ،ولكن قبل وصوله إلى القرية كانت قصته قد إنتشرت فى كل مكان ،لدرجة أن معظم سكان القرية عرفوا ما حدث فى منزله ولهذا أخبروه بما وقع .

حينذاك شعر بحزن عظيم ، و بوحدة أليمة ،حتى أنه شعر بأنه عديم الأهمية وتمنى لوأنه مات وهوجنين . وأخذ يلعن نفسه و يندم على مافعله .
كما أن جيرانه كرهوه لأنه كذب عليهم ، ففقد الصياد مكانته وأشاح كل إنسان بوجهه عنه ، فأصبحت حياته كئيبه · وذات يوم توفى هذا الصياد الذى طبقت شهرته الآفاق ولم يعبأ بموته أحد .

٢ ـ الصياد والساحرة

بعد أن قضى الصياد يوما بأكمله فى التجوال والتعب ، عاد خاوى الوفاض إلى قرية مجاورة يحدوه اليأس والألم وكانت هذه القرية تحتفل بعيد من أعيادها .وحضرت فى هذا الاحتفال امرأة جميلة فى ربيع عمرها لا يضارعها أحد فى جمالها ، وكان يحيط بها بعض أترابها من الرجال ذوى الشخصية البارزة . وجذبت هذه المجموعة المتميزة، بالرغم من قلة عددها ، انتباه الصياد فاقترب منها ليرى ما يدور فيها . فرأى أن هؤلاء الفتيان يحاول كل بدوره أن يلقى حبات تشبه فى شكلها كرات البلى التى يلعب بها الأطفال فى إناء تحمله هذه المرأة ،و بعد أن استفسر عن سبب ذلك ممن كانوا يجاورونه ، علم أن هذه المرأة وعدت بزواج أى فتى يستطيع أن يصيب الهدف من مسافة معينة ،ومن دواعى الأسف أن حاول كل فتى لـكن الفشل كان حليفه .

فقرر الصياد أن يجرب حظه ، وكان يعلم أنه مهما كانت الظروف فستعوضه هذه المـكافأة بما بذله من عناء ، وقد تعوضه كذلك عن يومه الذى قضاه فى الصيد دون جدوى . وكان عليه أن يلقى ثلاث حبات، فألقى الأولى، فسقطت فى الإناء مباشرة ونجحت رميته الثانية وكذلك

الثالثة . وعلى ذلك صار الصياد زوجا لهذه المرأة الجميلة وأثار حقد منافسيه من الفتيان .

وعاد الصياد مسرورا بهذه المرأة الجميلة إلى منزله وهو لا يدرى عن أصلها شيئــا ومما يثير الدهشة أنه بالرغم من مهارة ذلك الصياد فى أعمال السحر التى يمارسها أهل بلده وما يترتب عليها إلا أنه لم يستطع أن يعرف أن تلك المرأة التى قررت أن تحضر إلى تلك المدينة ، حين تعطشت إلى امتصاص الدماء أنها ساحرة .

وكان لهذا الصياد ، ثلاثة كلاب يقومون بحراسته . وفى منتصف الليل انقلبت تلك العروس إلى كتلة من الأسنان ولم تـكن تشعر أن تلك الـكلاب ترقبها . وحين استعدت لمزاولة أعمال سفك الدماء وأرادت أن تمضغ لحم الصياد ، وتهشم عظامه بأسنانها نبح الـكلاب الثلاثة نباحا عاليا ، فاستيقظ الرجل من نومه وكان مازال النوم مسيطرا عليه فسأل زوجته فى تثاؤب عما جرى .

فأجابته بقولها : « لا شىء ، لابد أن هذه الـكلاب إما أنها تحلم أو أصابها جنون » . فاستسلم الصياد للنوم مرة ثانية . وحاولت تلك المرأة ثلاث مرات أن تعيد فعلتها ونبح الـكلاب ثلاث مرات نباحا عنيفا لإيقاظ الصياد فى كل مرة . وأدرك المرأة الصباح ولم تنجح فى تنفيذ

ماعزمت عليه . ولذلك فكرت في اتخاذ قرار عاجل، وهو أن تصاحب الصياد في صيده وأن تنصحه بأن يربط كلابه بالسلاسل لأنها ستكون تهديدا لحياته مادام قد أصابها الجنون . وكطائر يجرى نحو الفخ بقدميه دون أن يدرى ، قيد الصياد كلابه ، واصطحب زوجته للصيد في غابة منعزلة . و بعد مسيرة بضع ساعات وجدا نفسيهما في قلب غابة كثيفة يخيم على جوها السكون . وفي هذا المكان المنعزل صاحت المرأة قائلة : « استخدم كل ما لديك من قوة لأنك ستلاقى حتفك بعد ثوان » . ثم انقلبت إلى كتلة من الأسنان كما فعلت من قبل لتمضغ لحم الصياد وتهشم عظامه .

ولما شعر الصياد بالخطر أسرع وتسلق شجرة قريبة له ، فأخذت الأسنان تقرض الشجرة لتسقطها . ولما أوشكت الشجرة على السقوط رتل الصياد تعويذة سحرية فانحنت شجرة أخرى قريبة والتقطته . وكانت تلك الأسنان تسقط كل شجرة تنحنى لالتقاط الصياد حتى وجد الصياد نفسه على آخر شجره في الغابة والأسنان منهمكة في إسقاطها فضاع كل أمل له في النجاة خاصة وأن كلابه كانت مكبلة في بيته .

وفجأة لمح الصياد طائرا يتجه نحو منزله . فنادى الطائر وتضرع إليه أن يذهب إلى منزله ويفك الكلاب من سلاسلها . و بفضل تعاويذ الصياد

السحرية حضرت كلابه إلى الغابة قبل أن تستطيع تلك المرأة التى لم يدر لها أصلا أن تسقط الشجرة ،وعلى الفور أمر كلابه أن تفتك بهذه المرأة. وفى غمضة عين قضى أحد الكلاب عليها . ولعق الثانى دماءها أما الثالث فقد نظف مكانها . ونزل الصياد من فوق الشجرة ،وعاد إلى منزله سالما، تصحبه كلابه الثلاث .

٣ ـ صياد كان ملكا

كان يعيش فى أحد القرى صياد فقير ، تعيس الحظ ، وفى يوم لم يجد ما يسد به رمقه ففكر فى الانتحار .

لهذا ذهب الصياد إلى أحد الفقهاء لكى يستشيره فى أموره ، ويخبره بما يخبئه الحظ له . فنصحه الفقيه بالذهاب للصيد ولمحاولة ثانية ، ويرضى بأى شىء يمنحه القدر إياه ، كما نصحه ألا يهتم بضآلة صيده أو قلته .

وفى صباح اليوم التالى ، قام الصياد مبكراً ، واخترق الغابة ممسكاً ببندقيته وبلطته ، وبعد مرور بعض الوقت فى البحث والتنقيب ، رأى أمامه تمساحاً وحينذاك تذكر نصيحة العالم وقدر اصطياده ، بالرغم من أنه لو رأى هذا التمساح فى أى وقت آخر لظن أنه فريسة ضئيله لا تستحق الصيد . وصمم ألا يتركه يفلت من قبضته . وتبعه عن كثب واهتمام ولكن التمساح هرب أخيراً فى حفرة تحت الأرض .

ولما كان هذا التمساح هو أمل الصياد الفقير الوحيد ، لم يجد أمامه إلا أن يحفر فى الحفرة التى اختبأ فيها التمساح ، وعلى هذا وضع بندقيته على الأرض وأخذ ينبش بفأسه حتى يخرج التمساح منها .

وفجأة شعر بقدميه تغوصان فى الحفرة ولم يدر إلا وهو فى مدينة

لا يقطنها رجل قط بل كلها نساء ، ولما لم يسكن فى هذه المدينة رجل واحد فقط كانت تحكمها امرأة هى الملكة .

وفى ذلك اليوم كان فى المدينة احتفال بمناسبة عيد من الأعياد وانتابت الصياد الدهشة فوقف مشدوها يرقب ماحوله و بعد لحظات شعرت النساء بوجوده فحولن اهتمامهن نحوه ، ولم تكن دهشتهن منه عند رؤيتهن له . فالصياد لم ير فى حياته مدينة سكانها من النساء فقط ولم تر النساء رجلا قط .

فشمله نسوة المدينة بعطفهن ، وأدخلنه سرادق الاحتفال، ودعونه للبقاء بينهن ، واكتنفت الملكة دهشة عجيبة ، وأمرت خادماتها بإعداد حجرة له فى قصرها .

وازدادت سعادة الصياد يوما بعد يوم فى هذه المدينة . وكان كل شىء يسير على ما يرام . وبمرور الوقت ازداد اهتمام الملكة بأمره ، حتى أنها أحبته حباً شديداً . وقابلها بنفس الشعور فتزوجا وأصبح الصياد ملكا على المدينة دون أن يدرى .

فاصطحبته الملكة ودارت به ردهات القصر وقالت : « كل شىء فى هذ القصر ملكك وكل ما فى المدينة لك إلا مكان واحد غير مسموح لك بالدخول فيه » . وأخذته إلى باب حجرة فى قصرها وقالت : « يمكنك دخول أية حجرة فى القصر والذهاب إلى أى مكان فى المدينة

إلا هذهِ الحجرة الوحيدة لا يسمح لك بدخولها » .

فرد الملك عليها: « حسناً ! هذا جميل. مادامت الحجرات الاخرى تحت يدى والمدينة كلها طوع بنانى فإنى شاكر لله على هذه النعمة التى منحتنى إياها» .

وظل على هذا راضياً بما قسم له فكل ما أمامه يشعر بالسعادة ـ طعام دسم وقصر منيف وخدم لا عدد لها . فشعر بما تحول إليه ، من فقر مدقع إلى غنى فاحش فقال لنفسه: « يمكننى الآن أن أعمل ما يروق وأحقق آمالى»

و بينما هو جالس ذات يوم يفكر ويقول لنفسه « من المسلم به أن هذا القصر ملكى بكل مافيه وهذه المدينة طوع بنانى وأبناؤها ابنائى إذن فأى شىء فى هذه المدينة يستعصى على رؤيته ؟ » .

ولم تكن الملكة فى القصر فتملكه حب الإستطلاع وخطا بخفة نحو باب الحجرة (الوحيدة) وفتحها ومرق منها .

وكان أول مارآه بعد دخوله أن وجد نفسه واقفاً فى ذات المكان الذى كان يقف فيه لاصطياد التمساح ، حيث بندقيته كانت ملقاة فوق التراب ، وفأسه قريب من فوهة الحجرة. أما الملكة ، والقصر ، والمدينة ، فلم يعد لهم وجود ، وعاد فقيراً مرة أخرى وندم على تسرعه ولكن لم ينفع الندم إلا من حيث تفيد الحسرة .

وعاد الصياد إلى قريته وأخذ يبحث عن الشيخ حتى وجده فأخبره
ا حدث . ورجاه متوسلا : « أرجوك ساعدنى ،فقد فقدت ما كان بين
نامل ، قل لى بربك كيف أعود إلى تلك المدينة المسحورة التى كنت
لكا عليها » .

فهز الشيخ رأسه قائلا : « لقد ضيعت الفرصة من بين يديك
صحتك أن ترضى بما قسم لك ولكنك كنت طماعا . فماذا أفعل الآن من
جلك ؟ وعاد الصياد إلى حالة الفقر المدقع بعد أن كان فى الغنى الفاحش
سبب تهوره .

٤ - الامير الذئب

فى مدينة صغيرة عاش رجل له ابنة رائعة الجمال ، ووصلت هذه الفتاة إلى السن الذى يسمح لها بالزواج . وتقدم لها خطاب كثيرون ، كل له مكانته المرموقة، ولكن والد الفتاة لم يجد أحدا منهم يستحق أن يصبح زوجا لابنته.

وقد وصل جمال هذه الفتاة حدا جعل كثيرا من أصحاب الثروة والجاه يتقدمون لها بما فى ذلك النبلاء والأمراء ، وجاؤا إليها من أماكن بعيدة وتنافسوا لنيلها . ولكن والدها كان مصرا على موقفه حتى أن هؤلاء المتنافسين ضجروا منه وقرروا جميعا العدول عن الجرى وراء مثل هذه الأوزة البرية .

ولم تكن هذه الفتاة وأمها مسرورتان من موقف الوالد واشتكتا بمرارة من شدة تدقيق الوالد . ووصل الضجر من هذا الوالد حداً جعله يقرر الذهاب إلى « سوق الأرستقراطيين » ليبحث عن زوج مناسب لابنته . وأخذ على نفسه عهدا بينه و بين الاله « أو با » أن أول كائن حى يقابله فى السوق سيتخذه زوجا لابنته . ووعد الأب زوجته وابنته باحضار زوج مثالى من السوق ، يستحق بحق أن يكون زوجا لابنته ؛ ونسي الرجل ما قد يجره هذا القسم عليه وعلى آماله .

ولم يخبر الوالد أحداً بقسمه إلا صديقا وفيا له . وكان ابن أخ هذا الصديق واحداً ممن رفضهم والد الفتاة ، وسرعان ما علم هذا الشاب بقسم الرجل من عمه . وكان هذا الشاب أميراً لطيفاً صغير السن ، وصمم فى قرارة نفسه أن يكسب هذه العروس ، فتنكر فى جلد ذئب ثم ذهب إلى السوق ، وكان هناك أول المبكرين .

وفى نفس اليوم ذهب الوالد أيضاً إلى السوق مبكراً جداً ، حتى تصبح لديه الفرصة لاختيار أنسب زوج لابنته . ولما كان الوالد ، والخطيب المتنكر فى جلد الذئب هما أول الذاهبين إلى السوق ، فقد تقابلا مبكرين . ولهذا كان الذئب أول مخلوق قابله الوالد . فتأوه الوالد وهو لا يكاد يخرج أنفاسه قائلا ، يالها من مفاجأة ! ! بل يالها من مصيبة ! !

ولكنه كان قد أخذ قسما على نفسه ، وكان عليه أن يلتزم بما قسم . الله موجود فى كل مكان وهو يعرف كل شىء و يستطيع أن يفعل كل مايريد . وكانت عقوبة حنث القسم هى الموت بالعار . إذن لم يكن أمام الرجل أمل فى الاختيار ،فاضطر إلى أن يأخذ الذئب إلى ابنته التى وعدها بزوج مثالى .

وكانت الفتاة وأمها مرتديتين أجمل ما لديهما من حلى وملابس فى انتظار العريس الموعود . ولشد ما فزعا حينما شاهدا ـ بعد كل هذا ـ أن الزوج لم يكن نبيلا ولا أميراً .. كلا .. بل كان حيواناً شرساً . وكانت

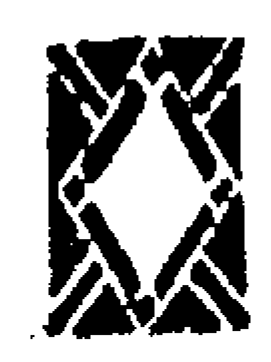
الفتاة فى موقف شديد الحرج . وعليها أن تختار هذا الذئب زوجا و إما أن تكون من المنبوذات من أهلها . وأخيراً و بعد إلحاح شديد من والديها قبلت الفتاة الجميلة الذهاب مع الذئب واتخاذه شريكا لحياتها .

وفى طريقهما إلى الغابة لقضاء شهر العسل خلع الذئب جلده وظهر الأمير الوسيم الذى كان قد تقدم لخطبة الفتاة من قبل . و بدلا من أن يذهبا إلى الغابة ذهبا إلى قصر منيف فخم . وكم كانت سعادة الزوجين ووالديهما حينما وجدوا هذه النعمة التى أرسلها الله لهم بدون علمهم ـ سبحان علام الغيوب .

القسم الثاني

القصص السببية





٥ لماذا توجد السماء بعيدة هكذا؟

منذ قرون مضت حينما كانت الأعين موجودة فى الركب - بدلا من مكانها الحالى - كانت السماء منخفضة جدا حتى أن أى شخص متوسط الطول كان يستطيع لمسها . كما أن الرجال فى ذلك الوقت كانوا على صلة مباشرة بالسماء وكانت السعادة يكتسى بها كل مكان ،والرجال المقدسون كانوايزورون عرش الإله من وقت لآخر .

وكان الزاد موجودا بكثرة ، والحياة مليئة بالترف والنعيم ،حتى أن الناس بدأوا فى نسيان أنفسهم ،وتقربهم من الله واستمر الناس فى غيهم

لدرجة أن الإله ضاق بهم ذرعا . فانزل من السماء مطرا مدرارا حول كل إنسان تعرض لها إلى برص، ونتيجة لهذا أصبح معظم الناس أبراصا .

ولما أحس الناس بالضجر والضيق من هذه الحالة ووجدوا أن آمالهم ضاعت وتملكهم اليأس . وبدلا من أن يصلون و يشكرون ربهم بعد كل وجبة ، كانت هذه الأبراص تمد أيديها القذرة إلى السماء وتمسحها فيها وكأنها منشفة .

ولما شعر الله بالضيق من فعلهم هذا ،أخذ السماء وارتفع بها بعيداً عنهم حتى لاتصل أيديهم إليها . ومنذ ذلك الوقت والسماء بعيدة عن الأرض هكذا .

٦ - لماذا لا يخرج الخفاش إلا ليلا ؟

من قديم الزمان اندلعت حرب بين الطيور والحيوانات ، ولما لم يكن يعرف الخفاش إلى أى الحزبين ينضم ظل على الحياد .

ولما رأى أن النصر سيكون فى جانب الطيور ، طار وطلب الانضمام اليهم . فلما رآه أحد الطيور سأله عما جاء به الى معسكرهم . فأجابه الخفاش قائلا : ألا تعلم أننى واحد منكم ؟ أنظر إلى جناحى . فقبلته الطيور فى معسكرها

ولكن لسوء حظ الطيور ، انتزعت الحيوانات النصر منهم انتزاعا ، فترك الخفاش معسكر الطيور ، وذهب إلى معسكر الحيوانات فسأله أحدهم وكان قد رآه فى معسكر الطيور : ماذا تفعل هنا ؟ هل أنت جاسوس فأجابه الخفاش : إننى واحد منكم ألا تستطيع رؤية أسنانى الصغيرة ؟

ولكن الحيوانات رفضت قبوله فى معسكرها . كما رفضت الطيور عودته الى معسكرها مرة اخرى . ومنذ ذلك الوقت والخفاش منبوذ من كل من الطرفين . وازدادت عزلة الخفاش يوما بعد يوم حتى أنه أصبح لا يخرج من وكره الا ليلا خوفا على حياته من الطيور ، وكذا من الحيوانات إن رأته تلك أو لحته هذه .

٧ – اليد والاصابع

الأصابع الخمسة اخوة ، ولـكن ، لماذ نجد الإبهام منعزلا عن باقى الأصابع ؟ أن هذه العزلة حدثت بناء على رغبته .

إذ أنه يوما لم يكن والده فى المنزل ، وأخبر أصغر إصبع اخوته بأنه جوعان جدا . فتوسل الإصبع الأوسط إلى أخيه الجوعان بأن يصبر حتى يعود والده .

ولـكن الاصبع الثانى اقترح أن يذهبا الى مزرعة جارهما و يأخذا منها شيئا يأكلاه .

فزجره الاصبع الأول قائلا : « ولنفرض أن صاحب المزرعة رآنا ، فماذا يحدث اذن » ؟

ولـكن الإبهام علّق قائلا : « من الأفضل لى اذن أن أكون بعيدا عنـكم جميعا » .

ومنذ ذلك الوقت والإبهام والأصابع الآخرى فى عزلة تامة كل عن الآخر .

٨ ما السبب في تشقق محارة السلحفاة واعوجاجها ؟

منذ زمن بعيد حدثت مجاعة فى إحدى المدن الصغيرة ، ولم يجد أحد شيئاً يأكله . فاجتمع سكان المدينة لـكى يبحثوا مشكلتهم ويتخذوا قراراً بما يجب عمله لإصلاح الأحوال .

وأخيرا قرروا جميعاً قتل كبار السن منهم وأكلهم ، لأن ذلك كان آخر ملجأ يستطيعون اللجوء إليه . ولهذا قتل كل شخص أمه إلا الـكلب الذى كان أكثر مهارة وفطنة منهم جميعاً ، فبدلا من أن يقتل أمه حملها إلى السماء حيث وجدت ما يكفيها من الطعام والشراب ، بل كان الطعام يزيد عن حاجتها . وفى كل مرة يشعر الـكلب فيها بالجوع والعطش كان يذهب الى مكان منعزل يغنى فيه قائلا :

« أماه الحبيبة ، كل الحيوانات قتلت أمهاتها » .

« لـكن ابنك كان أحكم منها فأنقذ أمه » .

« فابعثى لى حبلا من السماء فيمتلىء قلبي بالأمل » .

« ويذهب جوعى بنعمة السماء » .

وحينذاك تدلى والدته حبلا اليه ، فيمسك به الـكلب فيرتفع الى

السماء ، و بعد أن يتناول وجبته هناك ، يتدلى فى نفس الحبل الذى رفعه ويزل إلى الأرض ثانية .

وفى ذلك الوقت كانت الحيوانات الأخرى جميعها قد أكلت أمهاتها ، حتى نضب ذلك المورد ، فأصبحت جميعها عجافا ، وظهر على وجهها الضنى . على حين أن الكلب كان سميناً وسيماً وتجرى فى جسده الدماء . وا كتنفت الحيرة كل فرد منهم ، وانتابتهم الدهشة لهذه الحالة الطيبة التى يتمتع بها الكلب . فسأله كل حيوان عن الطريقة التى مكنته من أن يحتفظ بهذا الجسم اللطيف ، ولكنه رفض أن يخبرهم بالحقيقة . وكان يكتفى بقوله : « هذه حالتى ، وهذا مبدئى » .

ولكن السلحفاة لم تقتنع بهذه الإجابة وقررت ، « أن تكتشف هذا . وفى يوم من الأيام كانت السلحفاة ترقب الكلب عن كثب ، وتتبعت خطاه حتى وصل الكلب الى البقعة المنعزلة التى كان متعوداً على الذهاب اليها . وأخفت السلحفاة نفسها فى مكان وأخذت تسترق السمع الى أغنية الكلب ،وراقبت الحبل وهو يتدلى اليه و يتعلق فيه .

وفى صبيحة اليوم التالى ذهبت السلحفاة الى المكان المنعزل قبل أن يصل اليه الكلب ، وأخذت تغنى نفس الأغنية تماما كما كان يفعل الكلب . فتدلى الحبل فتعلقت به السلحفاة، ولكن حينما ارتفعت السلحفاة فى الهواء،

وكانت على بعد عدة أمتار من السماء نظرت أم الـكلب الى أسفل ، ولما رأتها قالت : « أوه هذا ليس إبنى » وألقت بالحبل .

فسقطت السلحفاة سقطة قوية على الأرض فتشققت محارتها، وصاحت طالبة النجدة ،فهرع إليها بعض النحل الذى كان قريبا من المكان وحاولوا جميعا لحام محارة السلحفاة المتحطمة . و بينماهم يعملون هذا اشتمت السلحفاة رائحتهم فقالت ساخرة : « أف ! لماذا رائحكم كريهة أيها النحل هكذا ؟» فتضايق النحل وتركها تصلح محارتها بنفسها . وهذا هو السبب الذى جعل محارة السلحفاة مشققة ومعوجة بهذا الشكل .

٩ ـ لماذا يطارد الثعلب الديك ؟

فى قديم الزمان كان الثعلب يهرب كلما رأى ديكا ، لاعتقاده أن عرفه من مادة نارية ؛ وذلك بسبب تشابه اللون بين عرف الديك والنار. وكان كلما لاح هذا العرف للثعلب هرب هذا الأخير .

وتملكت الديك دهشة حين عرف أن الثعلب يفر أمامه عند رؤيته. فحاول أن يجذب انتباه الثعلب قائلا . « إنه من الغريب أن تهرب كلما لحت لك . فما أنا إلا حيوان مثلك تماما . »

فرد عليه الثعلب : « إننى أخاف النار التى فوق رأسك » .

فقال الديك : « كلا ليست نارا ، وكيف أحمل ناراً فوق رأسى وأروح وأغدو وأنا من لحم ودم ؟ »

فقال الثعلب : « حسناً .. لم أكن أعرف ذلك » .

فرد عليه الديك ساخرا : « هيا والمس عرفى ، حاول أن تلمسه ، فهو ليس ناراً ؛ ولن يحرقك » .

وعند ذاك لمس الثعلب عرف الديك آمنا . فشعر بنعومته ، وأنه عديم الصلة بالنار . وبعد وقت قصير ؛ إعتاد الثعلب أن يلمس عرف الديك والشيء الذى فكر فيه بعد ذلك . « أليس هـذا العرف لذيذ الطعم عند أكله » ؟

وحاول ذلك مرة واحدة فوجده كذلك . ومنذ ذلك الوقت والثعلب يطارد الديك ليصطاد عرفه الأحمر .

١٠ - لماذا تشبه القرود بنى الإنسان ؟

ذات يوم ، دعى الأسد ـ ملك الحيوانات ـ جميع الحيوانات لعقد اجتماع . فكان في حضرته : فرس البحر والفيل والغزالة والسمكة وجميع الطيور والحشرات . وأخبرهم الأسد بالغرض من هذا الاجتماع .

فقال الأسد : « كنت أراقب كل ما يدور حولنا فوجدت أن الآدميين يحاولون أن يحتلوا مكانتنا ، لأنهم غير راضين عن حياتهم ، فلقد ركبوا متن الهواء بطائرتهم ، وأقلقوا الطير فى أوكارها ، وضايقوها فى حياتها . وشقوا بسفنهم عباب البحار ، فضيقوا الخناق على الأسماك ، ومشوا على ظهر البسيطة فنافسوا البغال والحمير ، كما نافسوا الحشرات الأخرى . فما رأيكم فى بني الإنسان وما هى الطريقة المثلى لمنعه من قتالنا ؟ » فبدأ الجمع فى مناقشة هذه المشكلة ، لكنهم لم يصلوا إلى نتيجة شافية .. فاقترح بعضهم شن الحرب ضد هذا الإنسان ، ولكنهم عادوا إلى رشدهم حينما وجدوا مبلغ ضعفهم أمام الإنسان المسلح بالأسلحة النارية .

ولجأوا إلى السلحفاة أعقل الحيوانات وأحكمها واستشاروها فى الأمر فقالت : « إذن فالحل الوحيد هو أن نصبح إنسانيين لأننا لو تحولنا كلنا إلى بشر ، ما امتاز أحد عن الآخر فوق ظهر الأرض » .

فوافقت الحيوانات كلها على ذلك ، لأن هذا الحل - بلا ريب - سينهى مشكلاتهم ولـكن الطامة الـكبرى كيف يصبحون بشراً ؟ »

و بعد محاوله باءت بالفشل لجأت الحيوانات مرة أخرى إلى السلحفاة تهتدى برأيها فقالت : أخبرينا بربك كيف نتحول إلى بشر ؟ »

فأجابت بقولها : «سأساعدكم فى إعداد جرعة من الدواء فى إناء كبير وكل منكم سيستحم مرة واحدة فيه فتتحولون بشراً فى الحال » .

وعمت البهجة والسعادة كل الحيوانات حينما علمت هذا ، وعلى هذا وعدتهم السلحفاة بإعدادهدا الدواء بمجرد انصرافهم . وأخبرتهم أن هذا الدواء سيكون معداً فى صباح الغد .

فذهبت الحيوانات وأحضرت الطبول والآلات الموسيقية على اختلاف أنواعها . فقد ملأتهم الفرحة لأملهم فى تحولهم إلى بشر ، وأخذوا يدقون الطبول ويرقصون ويغنون . وكانت الضجة التى فعلوها من الشدة بحيث ضايقت السلحفاة التى كانت نائمة فى ذلك الوقت . فخرجت لترى بعينى رأسها ما يحدث .

وسألتهم : « ما هذه الضوضاء التى تحدثونها ؟ »

فأجابوها : « إننا سعداء فنحن نرقص ونغنى لأننا سنكون بشراً من الغد فى مثل ذلك الوقت » .

فأومأت السلحفاة برأسها قائلة : « هم ! إذن تلك هى فكرتكم !

ولكنكم ما زلتم حيوانات ولم تصبحوا بشرا بعد ، كما أن تصرفاتكم حيوانية . وماذا تفعلون ـ إذن ـ حينما تصبحون بشرا ؟ »

وتركتهم السلحفاة وكسرت إناء الدواء فسال على الأرض .

وفى اليوم التالى حينما خرجت الحيوانات إلى المكان المعين لاستحمامها ليصبحوا بشراً وجدت الإناء مكسورا أمامهم ، وقد امتصت الارض معظمه . وكان بعضهم حكيما فأخذ يلعق الدواء ويمسح به جسده . وكانت القرود هى أعقل الحيوانات لأنها هى أول من وصل إلى هذا المكان . ولهذا تشبه القرود الإنسان أكثر من الحيوانات الأخرى .

١١ - لماذا تقدر التوائم فى سيركى

منذ زمن بعيد كانت تعتبر ولادة التوأمين فى منطقة معينة فألا سيئاً للأرض . ونتيجة لهذا كانت التوائم فى تلك المنطقة إما أن تقتل وإما أن يلقى بها فى الغابة لكى تبتلعها الحيوانات المفترسة . وكان رئيس قرية سيركى هو الذى يصدر الأوامر فى هذا الصدد .

واستمرت الحالة على هذا دون استثناء ، حتى أنجب بعض الآباء توائم ذكوراً جميلة ، جلدها رقيق وتكوينها متناسق . ولقد وصلت هذه التوائم من الحسن والجمال درجة جعلت كل من يشاهدها تملأه الدهشة ويحوطه العجب ، ولكن فى نفس الوقت كان لابد أن تقتل هذه التوائم دون أن يرثى لها . وكان الوالدان قد أحبا توائمهما حتى أنهما كانا على استعداد للقيام بأى شىء من أجل إبقائهما . حتى ولو كلفهما ذلك حياتهما .

وأرسل الزعيم كالمعتاد إلى الوالدين يأمرهما بوجوب قتل توأميهما . ولكن الوالدين رفضا أن يذعنا للأمر وأمر الزعيم فى ثورة غضبه أن يرحل الوالدان وتوأماهما من المدينة فوراً حاملين معهما أمتعتهما ، ولا يرجعان إلى المدينة أبداً ـ فرضخ الوالدان للأمر .

وكان أحد التوأمين ذا خال أسود فى جبهته وكان ذلك التوأم يدعى « إيبا »

بينما كان الاخر خالان وكان يدعى « سيبا » . وشب هذان التوأمان فى غابة حتى اكتملا نموهما ، وأصبح كل منهما على قدر كبير من الأناقة والقوة وكانا يلعبان سويا ، ويشتغلان سويا ، وغالباً ما كانا يتصرفان تصرفاً مشابهاً .

وذات يوم بينما كانا ينحدران من الغابة رأيا رجلا مصابا بجرح عميق تسيل منه الدماء . فانتابهما الرعب عند رؤيتهما لهذا المنظر ، وكانا على وشك أن يديرا ظهريهما ، ويوليا الأدبار ، لولا أن الرجل ناداهما بصوت فيه ألم . فتحركت عاطفة الشفقة فيهما وقررا الذهاب لإنقاذ الرجل .

فأخبرهما الرجل بأنه قد أصيب بهذا الجرح فى معركة دارت بين مدينه (سيركى) — وهى المدينة التى جاء منها هذان التوأمان ووالدهما — و بين مدينة أخرى . واندفع فى حزنه قائلا : « إننا نخسر الحرب بسرعة عجيبة، وقد اضطررت إلى ترك ميدان القتال لأننى لا أستطيع أن أواصل القتال . أرجوكما أن تأخذا منى هذا الدرع ، وتوسل إليهما قائلا : « اذهبا وساعدا شعبي إن استطعتما » ثم مات بعد أن انتهى من جملته الاخيرة .

ولما كان « سيبا » و « إيبا » يعرفان جيداً أن « سيركى » كانت مسقط رأسيهما قررا الذهاب اليها ومساعدة أهلها. وعلى هذا ذهبا إلى منزلهما وأخبرا والديهما بما حدث ، وعبرا عن رغبتهما فى الذهاب لمساعدة أهـل

المدينة . ولـكن الوالد عارض بقوة قائلا : « إن الزعيم لا يريدكما هناك ، ولن يرحب بمساعدتكما . فلقد طلب من قبل قتلـكما ، وحينما عارضناه نفانا من المدينة » . ولـكن كان من الصعب إثناء التوأمين عن قرارهما . وصمما على الذهاب، فأذعنت أمهما أولا ثم اضطر أبوهما إلى الرضوخ للأمر.

وعلى هذا ذهب التوأمان للمحاربة فى صف أهل المدينة . وقاد « سيبا » إحدى الـكتائب وقاد « إيبا » كتيبة أخرى . واستطاع هذان الشجاعان أن يعوضا الشعب كل ما فقده من ممتلـكات استولى عليها العدو بما فى ذلك ابن الزعيم . وبعد مرور يومين من القتال المرير اضطر العدو إلى توليه الأدبار ، وبهذا حقق « سيبا » و « إيبا » انتصارا رائعا .

وأقيم حفل كبير بمناسبة هذا الفوز ، وفى وسط الحفل أعلن أحد الحاضرين عن وجود وجهين غريبين بينهم . ولاحظ أهل المدينة أن الوجهين الغريبين بينهم هما هذان الشخصان اللذان قاداهما إلى النصر وسأل خال الولدين زعيم المدينة وشعبها عما إذا كانوا مازالوا يتذكرون هذين الوجهين . لـكنهم لم يتذكروهما مطلقا . وحينئذ ذكرهما الرجل بالتوأمين الذى كان لأحدهما خال على جبهته وللآخر خالان ـ وذكرهما بنفيهما ووالديهما من المدينة لعدم رضوخ الوالدين لتنفيذ تعليمات المدينة بقتل ابنيهما ثم صاح قائلا : « هذان هما التوأمان بعينيهما » .

وشعر الزعيم حينذاك بالندم لطرده لهما من القرية ولذلك طلب منهما أن يصفحا عنه ، ثم أرسل الشابان إلى والديهما محملين بهدايا قيمة ، وفى صحبتهما فرقة من الجند لـكى يرجوهما للعودة مرة ثانية. وبعد وصول العائلة بأكملها إلى المدينة ،أصبحت معبودة المدينة بأكملها بما فى ذلك الزعيم. ومنذ ذلك الوقت لم تعد التوائم فألا سيئا بل أصبحت فألا حسنا بين شعب سيركى .

القسم الثالث

الأساطير الأخلاقية





١٢ – السلحفاة وقدح الحكمة

تعتبر السلحفاة أحكم الحيوانات جميعاً . وعلى هذا قررت أن تجمع كل الحكمة الموجودة على الأرض وتضعها فى قدح واحد وتعلق هذا القدح فى إحدى الأشجار .

وأخيراً استطاعت أن تجمع – على حد اعتقادها – كل الحكمة الموجودة على الأرض ، ثم عبأتها فى ذلك القدح وربطته فى عنقها . ثم حاولت أن تصعد الشجرة التى نوت أن تعلق ذلك القدح فيها . ولكنها وجدت

صعوبة عظيمة فى تسلقها ، لأن القدح الذى كان معلقاً حول رقبتها ويتدلى على صدرها كان يقف حائلا بينها وبين الشجرة ، ولهذا كان يجعلها تقع كلما تسلقت مسافة قصيرة ، وحاولت مرات ومرات لكنها كانت تخفق فى كل مرة .

وكان يراقبها فى ذلك الوقت أحد الرجال ، فحينما رأى ذلك ، ناداها قائلا : « لاشك أنك أحكم الحيوانات ، لكننى سأبرهن لك أنك لست حكيمة » . لماذا لا تعلقين القدح على ظهرك ؟ وبهذا لا يعوقك وأنت تصعدين الشجرة » .

وجربت السلحفاة هذه الطريقة ، فوجدت أنها استطاعت تسلق الشجرة بأكثر سهولة وسرعة وبلغت مرادها بسهولة . وحينئذ شعرت السلحفاة بخيبة أملها لأنها لم تجمع حقاً كل الحكمة الدنيوية فى ذلك القدح وشعرت بأن أشياء كثيرة لها قيمتها قد نسيت جمعها . ولهذا حطمت القدح لأنها فقدت أملها فى جمع كل الحكمة الدنيوية فيه ، ولأنها شعرت بأن ذلك الرجل أحكم منها . « فلكل عالم هفوة » .

١٣ — الاختبار

كان يعيش فى إحدى المدن رجلان مشهوران أحدهما يسمى محروس برعاية الله ، والآخر محروس برعاية الملك .

وكان يحكم هذه المدينة ملك علم بقصة هذين الرجلين ، فأرسل فى طلبهما . ومثلا الرجلان أمام الملك فسألهما عن اسميهما ، فأخبره كل منهما باسمه . فاستدار إلى المحروس بعناية الله قائلا : « هل تعتقد حقاً فى صدق اسمك ؟ »

فأجاب الرجل الملك بالإيجاب .

وحينذاك امتدح الملك شجاعته ، ثم شكر الرجلين لاستجابتهما دعوته . ثم اتجه ناحية الرجلين وقال لهما : « سأعطى كلا منكما هدية جزاء على إخلاصه وولائه » . ثم مد يده إلى المحروس بعناية الله وأعطاه ثوبا من الحرير الأبيض ، ثم أعطى المحروس بعناية الملك ثوبا من الحرير الأسود .

لكن قبل أن يترك الملك الرجلين أصدر الملك تعليماته إلى أحد الصيادين بإعداد كمين على بعد عدة خطوات من القصر ليقتلوا الرجل ذا الرداء الأبيض .

وأثناء سير الرجلين نظر المحروس بعناية الملك إلى ثوب المحروس بعناية الله ، فأعجب بثوبه وفضله على ثوبه الأسود . ولما لم يكن يهتم المحروس بعناية الله فى لبس أى من الثوبين فقد أعرب عن استعداده فى تبديلهما الثوبين . وفعلا بدل ثوبه . فأصبح المحروس بعناية الملك يرتدى الثوب الأبيض الحريرى .

وبعـد أن خرجا من بوابة القصر شاهدا ناراً عالية يتصاعد منها الدخان ، وحينما قارباها انقض الصياد وزملاؤه على ذى الرداء الأبيض وقتلوه ، فملأ الخوف قلب المحروس بعناية الله وهرب راجعاً داخل القصر وأخبر الملك بما حدث .

فذهل الملك عند رؤيته المحروس بعنايه الله لابسا الثوب الأسود ، وخصوصا حينما علم بغيرة المحروس برعاية الملك من ثوب المحروس برعاية الله ، وعملية التبادل التى تمت بينهما . وحينئذ أعلن الملك اعترافه بما فعل ثم صاح بصوت جهورى : « حقا لايوجد ملك يضارع الله فى قدرته » .

١٤ — الرجل والحمامة والصقر

حدث أن كان أحد الرجال أعمى وأعرج . وفى إحدى الأمسيات جلس أمام باب منزله وتملكه الحزن والحسرة على حالته تلك ، لأنه لم يكن يستطيع الحركة أو الإبصار ، لكنه قضى على ذلك الإحساس بالصلاة والابتهال إلى الله .

وفجأة طارت حمامة متجهة إليه ، واختفت تحت طرف ثوبه ، وفى غمضة عين أقبل عليه صقر جائع وتوسل إليه أن يترك الحمامة له ، لأن الجوع كاد أن يقتله ، وأخبره بأنه إن لم يعطه الحمامة فسيموت فى الحال ، ووعد الرجل بأنه لو ترك الحمامة له سيعطيه شيئا يمكنه من الإبصار .

لكن الحمامة توسلت كذلك من أجل حياتها . وقالت للرجل بأنه لو تركها للصقر فإن فى ذلك موتها ، ووعدته بأنه لو أنقذها من ذلك الصقر فستعطيه شيئا يشفى عرجه ، وبهذا يتمكن من السير على قدميه ثانية .

ولهذا احتار الرجل بين الاثنين ولم يكن يدرى ما يفعله بالضبط . فأرسل فى طلب صديقه الوحيد وأخبره بحيرته وسأله قائلا : «هل أستعيد بصرى أم أشفى عرجى» ؟

لـكن صديقه الآخر احتار فى الأمر ولم تسعفه النصيحة التى يجب أن يسديها له ثم تركه وقال له : « عليك أن تمسك بدفة قاربك بنفسك ، فأنا لا أستطيع أن أساعدك فى إتخاذ قرار بشأن هذه المشكلة » .

وحزن الرجل حزنا عظيما لأن صديقه لم يستطع مساعدته ، ثم أخذ يفـكر عدة دقائق ثم سأل الصقر قائلا : « لنفرض أننى أحضرت دجاجة بدلا من الحمامة فهل سترضى بها » ؟

فرد عليه الصقر بسرعة : « طبعا فأنا أفضل ،فى الواقع، لحم الدجاج على لحم الحمام . ولأنى لم أستطع الحصول على دجاجة ، فقد أجبرت على أن أقنع بما وجدته » .

فقال له الرجل : « هذا جميل » . ثم قال للحمامة : « والآن سأنقذ حياتك لـكن عليك أن تبرى بوعدك » واتجه للصقر قائلا : « سأمدك بالطعام الذى تريده لـكنك ملزم بالوفاء بوعدك لى » .

وحينئذ أعطى الرجل دجاجة للصقر . وفى مقابل ذلك أخبره الصقر بأنه يجب أن يحصل على ورقة شجرة ذكرها له ، وينظفها ثم يعصرها فى عينيه ، وبذلك سيتمكن من الابصار ثانية. وعلى هذا ترك الرجل الصقر .
وبعد أن طار الصقر اتجه للحمامة وقال لها : « لقد أنقذت حياتك .

وعليك الوفاء بوعدك ، وعندئذ أخبرته الحمامة بما يجب عليه أن يفعله حتى يسترد مقدرته على السير . وعلى هذا تركها . ثم نفذ الرجل تعليمات كل من الصقر والحمامة وبهذا استرد قوة بصره والسير على قدميه .

« تعلمنا هذه القصة وجوب الاعتماد على أنفسنا كلية وعدم الاعتماد على الأصدقاء » .

١٥ – الكتكوت المشاغب

كانت تعلم دجاجة صغارها كيفية الدفاع عن أنفسهم . وأخبرتهم بما يجب عليهم أن يفعلوه عند رؤيتهم صقراً قريبا منهم ، وتوسلت إليهم ألا يذهبوا قرب الآبار في المناطق المجاورة .

وبعد ذلك بأيام قلائل كان أحد صغارها يلتقط الحب من الارض فلاحظ وجود بئر بجواره ، فتذكر ما قالته له أمه فترك مكانه مباشرة . وحينما ذهب في صباح اليوم التالي لالتقاط الحب وجد نفسه ثانية بجانب البئر . لكنه بدلا من تركه مكانه كما فعل بالامس ، وقف حيث هو ، وأخذ يفكر عن سبب منع أمه له من الذهاب إلى البئر فسار قليلا جانب البئر فلم يحدث له شيء .

وملأته الحيرة وأخذ يقول لنفسه : « ترى ماذا في هذا البئر ؟ » وتملكته غريزة حب الاستطلاع وتغلبت على الخوف الذي في قلبه ، فقفز فوق حافة البئر ليرى ما بداخله .

وتملكته الدهشة حينما رأى كتكوتا آخر في البئر ، فأدار رأسه إلى اليمين فوجد الآخر قد فعل مثله . ورفع جناحيه إلى أعلى ، ففعل الكتكوت الثاني كما فعل صاحبنا . وفتح فمه ليزقزق فوجد أن الآخر يقلده

وفى النهاية أحس بالضيق والغيظ من هذا الكتكوت الذى يقلده ، فنفش ريشه وتحداه للقتال . وقبل خصمه هذا التحدى وفعل مثلما فعل .. وقفز الكتكوت الصغير فى البئر وهو فى ثورة من الغضب ، ليقضى على خصمه . ولسوء الحظ لم يجد الكتكوت شيئا يقاتله إلا مياه البئر ، فحاول إنقاذ نفسه بكل ما استطاع ، وصاح بأعلى صوته ، ولكن ما من مجيب.

وأخيراً عرف أن خصمه لم يكن إلا خياله هو. وتذكر ما قالته أمه له لكن لقد فات الأوان ، وتذكر أمه فى صراعه ضد الموت وندم على عدم إطاعته لها ، فأخذ يصارع الماء، والماء يصرعه حتى خارت قواه وسقط فى قاع البئر غير مبكى عليه ولا مأسوف له .

١٦ - الاسد والعنزة

كانت العنزة ترعى ذات يوم فى سهل ملىء بالعشب الأخضر ، وفجأة علا زئير أسد مخيف فأوقفها عن الأكل . ونظرت حولها فرأت أسدا داخل قفص . وحينما همت بالهروب نادى عليها الأسد راجيا ، فاقتربت من القفص . وحينما اقتربت منه رجاها أن تفتح له القفص لأن الجوع والتعب أنهكاه ، لكن العنزة رفضت ذلك فى بادىء الأمر لأنها لاتثق فى الأسد وتخاف أن يبطش بها . لكن الأسد ألح عليها ، ووعدها أنه لن ينسى جميلها . ففتحت العنزة باب القفص وخرج الأسد منه .

وأصبح حرا يفعل مايريد . فشكر العنزة على جميلها وعطفها . ولم تكد العنزة تبتعد عن القفص خطوات ، حتى غير الأسد رأيه وقرر أن يفتك بها ويلتهمها ، لأنه غير متأكد أنه سيجد فريسة أخرى ، وخاف من الموت جوعا . فجرى وراءها وأمسك بها .

ودهشت العنزة وتملكها اليأس لما رأت من جحود الأسد ونكرانه للجميل فقالت له : « هل أخطأت حينما عطفت عليك ، ورحمتك من جدران القفص ؟ » .

وبينما هما فى نقاشهما هذا اقترب منهما رجل وقال لهما : « على ماذا تختصمان ؟ » فقصت العنزة قصتها سريعا .

فسألها الرجل : « وأين كان ذلك القفص ؟ »

فأشارت العنزة بيدها قائلة : « إنه هناك » .

فقال الرجل : « حسنا فلنذهب إليه » لتبينى لى بالضبط كيفية ما حدث حتى يمكننى أن أعرف أيكما كان على حق . » فذهب الأسد والعنزة بصحبة الرجل إلى مكان القفص .

وعندئذ سأل الرجل الأسد : « أهذا هو القفص الذى كنت محبوسا فيه ؟ »

فقال الأسد : « نعم » .

فسأله الرجل ثانية : « وكيف كنت تجلس فيه ؟ »

فأشار الأسد إلى مكانه قائلا : هكذا ! »

فسار الرجل إلى داخل القفص وجلس فيه ثم قال : « أكنت تجلس فيه هكذا ؟ »

فقال الأسد : « كلا »

فأشار الرجل بإصبعه قائلا : « إذن أرنى كيف كنت تجلس فيه ؟ » فدخل الأسد القفص ، وبينما كان يبين للرجل المكان الذى جلس فيه من قبل أسرع الرجل وأغلق القفص .

وصاح الرجل قائلا : « هذا هو جزاء ناكر الجميل » . ثم استدار إلى المعزة وقال لها : « عليك بعد ذلك أن تختارى من يستحق المساعدة . فليس أخطر على حياتك من عطفك على مثل ذلك الوحش الناكر للجميل » .

المغزى : « اصنع الجميل فى أهله » .

١٧ - الأسد والسلحفاة والدب

قرر الأقطاب الثلاثة : الأسد والسلحفاة والدب عقد معاهدة دفاعية بين شعوبهم التي يمثلونها. ولكن قبل أن يحققوا هذه المعاهدة الدفاعية قرروا أن يتوادوا ويتصادقوا ، حتى يكونو قدوة لأتباعهم يسيرون عليها. وبعد أن علم الأسد بأن الموقف قد وصل إلى هذا الحد ، طلب من السلحفاة والدب أن يعربا عما يكرهانه أو يمقتانه حتى يتحاشاه الآخرون . فوافقا على فكرة الأسد بعد أن أثنو عليها .

وشرحت السلحفاة أسباب ضيقها وذكرت ما يغضبها قائلة : « أشد ما أمقته هو كلام الناس أثناء غيبتى » . وقال الدب : « لا يهمنى قول الناس عنى ، ولكنى أغضب كلما داس واحد منهم على ذيلى » . فقال الأسد عندئذ : « لاهذا ولاذاك أتأثر به ، لكنى أكره أن يحملق الناس فى وجهى » . ووعد الجميع بتجنب هذه المضيقات والامتناع عن إقلاق كل منهم للاخر . وحينئذ استأذنت السلحفاة قائلة أنها تنوى الجرى لشوط بعيد . ولم تكد السلحفاة تغادر مكانها حتى علق الأسد بقوله : « ترى ماذا تفكر السلحفاة فيما يقوله الناس عنها أثناء غيابها ؟ »

فرد الدب: « ربما يتحدثون عن محارتها المجعدة الملتوية » .

وبعد ثوان عادت إليهم السلحفاة ؛ إنها لم تكن قد ذهبت بعيداً ، بل اختفت بين الحشائش لتسمع ماقالاه عنها بعد أن غادرتهما . وطبعاً لم يكن باستطاعتها أن تفعل شيئا إزاءهما بعدأن تحدثا فى حقها فى غيبتها ، بل اكتفت بالنظر والحملقة إلى وجه الأسد شذرا .

ولما رأى الأسد ذلك فكر فى الهجوم عليها . وبينما كان يتعاركان داس الأسد على ذيل الدب فاضطر أن يدخل معمعة الصراع ودارت رحى الحرب بين ثلاثتهم .

وكانت المعركة من الشدة حتى أن جميع الحيوانات الأخرى أتت من كل حدب وصوب اترقب مايحدث . ولم تمض دقائق حتى اشتركت تلك الحيوانات فى صميم المعمعة ، كل فى صف بنى جنسه . ومنذ ذلك الوقت وأصبحت هذه الحيوانات أعداء لا يقرب بينها شىء .

«المغزى : لا تظهر لأحد نقطة ضعفك وإلا استغلها لصالحه الشخصى » .

١٨ – الذنبور والنحلة

بعد أن خلق الله العالم – أمر النحلة بالنزول إلى الارض بعد أن علمها الإله كيفية البحث عما تستطيع حمله من الأشياء وصنع شيئا واحدا جميلا منها ، كما علمها كيف تحيا حياة تتمتع بها ، وكانت النحلة تمتاز بالصبر الجميل ، لأنها أصغت إلى تعليم الإله ثم نزلت إلى الارض .

وأتى بعد ذلك دور الذنبور وكان نافذ الصبر ، فلم يستمع إلا إلى نصف تعاليم الخالق فقط التي أراد الله أن يمنحها إياه . فقبل أن ينتهى الإله من شرح تعاليمه للذنبور انطلق هذا الأخير فى الجو قائلا : « لقد عرفت كل شيء احتاج إلى معرفته » .

ولما هبط إلى الارض اكتشف أنه لم يتلق تعاليم الله كلها ، وحاول مرات ومرات أن يصنع العسل لكنه فشل . فبدلا من أن يصنع عسلا صنع سما زعافا . أما النحلة التي أصغت بكل صبر واهتمام إلى تعاليم الإله استطاعت أن تجمع كل ما طلبه الخالق منها ، وصنعت شيئا جميلا : وهو العسل .

ومنذ ذلك الحين أحب النـــاس النحل حباً شـــديداً
فى حين أن الذنبور أصبح العدو اللدود للإنسان فى الأرض .

المغزى : « علينا أن نتجمل بالصبر ونصغى باهتمام لإرشاد الغير
لنسلك الطريق القويم » .

١٩ - الكنز والاصدقاء الثلاثة

قام ثلاثة أصدقاء برحلة ، وبينما هم سائرون وجدوا حقيبة مملوءة بالمال فالتقطوها والسعادة تغمر قلوبهم ، واستمروا فى طريقهم ثم توقفوا عن السير على بعد ميل من إحدى المدن القريبة ، لأنهم شعروا بالجوع ، فقرروا شراء بعض الطعام لملء بطونهم الخاوية . فأخذوا مبلغاً من الحقيبة يكفى لشراء طعام شهى ، واختاروا أصغرهم ليقوم بهذه المهمة ، فأخذ المال وذهب إلى المدينة ليشترى الطعام .

وبعد أن غاب عن الأنظار ، اقترح أحد الصديقين على الآخر أن يقتل أصغرهم ويقتسما الكنز مناصفة ، فيزيد نصيب كل منهما بذلك . ولكن الصديق الثالث رفض هذا الاقتراح بعد أن فكر فى الأمر مليا . ولكن صديقه الثانى استطاع إقناعه أخيراً ، فوافق على الاشتراك فى هذه الجريمة الشنعاء بعد أن أكد له أن أحداً لن يعرف ذلك . وأخبره بعظمة المشروعات العظيمة الكثيرة التى يمكنهما تحقيقها بمثل هـذا المبلغ الضخم . وفى النهاية وافق الرجل على خطة زميله ليزيد نصيبه من هذا الكنز الذى عثروا عليه .

وفى هذه الأثناء كان الصديق الأصغر قد وصل إلى المدينة، واشترى

الطعام واتجه عائداً إلى حيث تركهم ، و بينما كان فى طريقه خطرت على باله فكرة فقال فى نفسه : « إذا استطعت أن أقتل هذين الرجلين ، فسيصبح كل الكنز ملكى وحدى » لكن صوت الضمير أخذ يردد فى أذنيه : « إنها جريمة قتل . إنها جريمة سفك للدماء » وأخذ هذان الصوتان يتصارعان فى رأسه . ولكن صوت الإثم والعدوان تغلب على صوت الفضيلة والشرف . وملأه الشوق إلى الاستيلاء على الكنز بمفرده فعاد إلى المدينة واشترى سماً زعافاً وضعه فى الطعام وقال لنفسه : « سأخبرهم أننى أكلت كفايتى من الفاكهة وليست لدى شهية للأكل . وحينئذ سيأكلان ثم يموتان و يكون المال ملكى وحدى فقط » . و بعد أن رسم هذه الخطة ، سار فى طريقه حتى وصل إليهما حاملا الطعام المسمم أو السم المطعم .

وقبل عودته كان زميلاه قد أحضرا مطرقة وسندانا . وفى اللحظة التى وضع فيها الطعام هشما رأسه دون أن ينبس بكلمة أو آهة . و بعد هذا العمل الوحشى بدآ فى الأكل ولكن قبل أن ينتهيا من تناوله ماتا فى مكانهما . وهكذا وجد الثلاثة كنزاً وماتوا لطمع كل منهم فى نصيب الآخر ، لقد ماتوا ولم ينتفع أحد بمليم واحد مما تركوه . وهذا عاقبة الطمع .

٢٠ ــ السلحفاة والارنب

دائما ما كان ينظر الأرنب إلى السلحفاة وهى تزحف ببطء ، ويسخر منها . وفى يوم من الأيام تحداها للسباق ساخرا . فأخذت تفكر السلحفاة فى هذا الأمر وقتا طويلا . ورأت أنها لو رفضت سيزداد الأرنب فى سخريته وتهكمه وهى لاتستطيع أن تتحمل هذا ، كما أنها لو قبلت السباق فسيسبقها الأرنب بدون شك فتصبح أضحوكة الجميع . ولكن لم يكن أمامها سبيل أمام سخرية الأرنب من قبول التحدى .

وحددا يوما للسباق واستعد كل منهما للآخر . ولم يكن هذا السباق مشكلة بالنسبة للأرنب . ولكنه كان بالطبع أكبر المشاكل التى قابلتها السلحفاة فى حياتها . وحان الوقت وانطلق كل منهما متسابقا .

وبعد مرور بعض الوقت نظر الأرنب خلفه فوجد أن السلحفاة وراءه بمسافة شاسعة . وعلى هذا قرر أن يستريح قليلا . ولكن السلحفاة كانت تزحف ببطء وتصميم حتى لحقت بالأرنب وسبقته فى هدوء بينما كان هو يغط فى نومه ولايشعر بها . وبعد أن وصلت السلحفاة إلى نهاية السباق صاحت قائلة : «لقد كسب السباق ليبطئ ذى العزيمة القوية» .

واستيقظ الأرنب ليرى السلحفاة قد سبقته فأخذ يجرى بأقصى مالديه من سرعة ويقفز بوثباته عاليا لكن قد فات الأوان . فالسباق لا يكسبه متهور مهما كان .

٢١ – السلحفاة والدب

كانت السلحفاة والدب صديقين حميمين ،وكانا متعودين على تناول طعامهما سويا ، وكان كل منهما يدعو الآخر لتناول الطعام معه على التوالى. ولكن فى يوم من الأيام أراد الدب أن يمنع السلحفاة من الغذاء معه بعد ذلك اليوم . ولهذا بعد أن أعد طعامه لف نفسه حول إناء الطعام ونادى السلحفاة لتناول الغذاء معه .

فدارت السلحفاة حوله مرات ومرات فلم تستطع لمس الإناء . فمدت يدها لتضعها فى الإناء لكن الدب صاح غاضبا : « ماهذا ؟ أأدعوك لتناول الغذاء معى فتدوسين على هكذا ؟ فعادت السلحفاة إلى منزلها بعد هذا المجهود الشاق وقد خاب أملها فى الدب ،ولكن كانت قد قررت فى نفسها شيئا .

وفى اليوم التالى أعدت السلحفاة الغذاء وربطت حبلا فى ذيلها لفته حول إناء الطعام ، ثم نادت على الدب ليتناول الغذاء معها . وحينما حاول الدب أن يمد يده إلى الطعام صاحت السلحفاة غاضبة : « ماهذا ؟ أأدعوك لتناول الطعام معى فتدوس على هكذا ؟

فسأل الدب السلحفاة فى دهشة بالغة : « منذ متى أصبحت كبيرة الحجم هكذا » ؟

فأجابته السلحفاة بتحد: « الرجل يعلم الرجل أن يكون طويلا أو قصيرا »

٢٢ - السلحفاة والثعبان

فى فترة من فترات الزمن تصادقت السلحفاة والثعبان وعاشا سويا فى نفس المسكن، وأكلا سويا من نفس الإناء. وكانت السعادة تلفهم بجناحيها.

وذات يوم كان الثعبان (أوجولا) جائعا جدا فقال لنفسه : « لماذا أدع السلحفاة تشاركنى هذا الطعام اللذيذ ؟ » وعلى هذا لف نفسه حول إناء الطعام . ولم يدع منفذا تستطيع السلحفاة (إيميبا) أن تمد منه يدها لتتناول الطعام معه .

وكانت إيميبا جوعانة جدا . ورأت أن ذلك الإناء مملوء بأشهى طعام تفضله فهو مكون من الفاصوليا واللحم وزيت النخيل مع بعض التوابل الأخرى . وأخذت تنظر إلى أوجولا وهو يلتهم الطعام بشراهة . فسألته قائلة : « لماذا لا تدعنى أقترب من الإناء لأتناول الطعام معك ؟ إننى جوعانة وأنت تعرف أننا كنا نتناول طعامنا سويا » .

فقال لها أوجولا : أنا أكبر منك . أنظرى إننى أستطيع لف نفسى حول الإناء ، وهذا الطعام ملكى وحدى ، فجسمى ضخم ويجب أن آتى عليه كله لنفسى . « واستمر فى التهام الطعام . وأخذت إيميبا تفكر فيما قاله لها أوجولا .

وفى اليوم التالى صنعت إيميبا لنفسها ذيلا من الحشائش وألصقته بذيلها، ثم لفته حول آنية الطعام. وبدأت فى التهام الأكل. ولم يجد أوجولا مكانا لنفسه يستطيع أن يلتهم منه الطعام، وكان أوجولا جوعانا جدا والطعام الموجود يعتبر أكلته المفضلة فهو مكون من نفس الخضر واللحوم التى تكون منها طعامه بالأمس. وأخذ أوجولا ينظر إلى إيميبا وهى تتناول الطعام فقال لها: «لماذا لا تدعينى أقترب من الإناء لآكل معك؟ فأنا جوعان وقد كنا دائما نتناول الطعام سويا».

فأجابته إيميبا: «بالأمس كنت كبيرا وأنا صغيرة أما اليوم فأنا كبيرة.». وعلى هذا لم يكن أمام أوجولا إلا أن يراقبها وهى تلتهم الطعام بشراهة.

[الحاجة تعلم الإنسان أن يكون قصيرا أو طويلا].

٢٣ - الغراب المغنى

خرج ثعلب جوعان من جحره ليرى غرابا واقفا فوق شجرة وفى منقاره قطعة كبيرة من اللحم . فصاح قائلا : « أسعد الله صباحك » .

فرد عليه الغراب من بين أسنانه : « أهلا .. أهلا » .

فقال له الثعلب : « لقد كنت مشغولا بالتفكير فى عظمتك وفى صوتك الجميل الذى لا يطربنى سواه » فسأله الغراب بزهو وكبرياء : « أصحيح ما تقول ؟ »

فقال له الثعلب : « طبعا طبعا فلقد خرجت من جحرى لاستمع الى غنائك الشادى وكم يسعدنى أن تتعطف وتغنى إحدى أغنياتك الجميلة » :

وفى اللحظة التى فتح فيها الغراب فمه ليغنى للثعلب سقطت قطعة اللحم على الأرض وقبل أن يلحقها كان الثعلب قد التقطها بسرعة وجرى بها واختفى داخل جحره .

فصاح الغراب حزينا : « لقد ذهب بها ولن يعود ، كم كنت غبيا حينما أغرانى بصوتى الجميل » .

٢٤ - فأر المدينة وفأر القرية

بينما كان فأر المدينة يسير في إحدى شوارع القرية ذات يوم ، لاحظ أن فأر القرية كان يأكل طعاما عفنا ، وجوزا قذرا . فحياه قائلا : «مرحبا أيها الصديق » فرد عليه فأر القرية : « مرحبا بك أنت » .

قال فأر المدينة : « إنني في حيرة منك . كيف يمكنك أكل هذا الطعام القذر الذي حولك ! ؟ إني آكل طعاما دسما في أي وقت أشاء ، وبأي مقدار أريد . إنني لا أتكلف شيئا في طعامي » .

فعجب فأر القرية من هذا القول وقال له : « أهذا معقول ؟ »

فقال له فأر المدينة : طبعا طبعا . تعال وستجد أنك ستسر بكل دقيقة تمضيها هناك ، حتى أنك لن تفكر في الرجوع ثانية إلى هذا المكان .

فسار فأر القرية خلف فأر المدينة حتى وصلا إلى منزل فخم ، فدخل فأر المدينة إلى المطبخ وتبعه فأر القرية . وهناك وجدا طعاما فخما وفيرا . فدعا فأر المدينة صديقه وقال له : أقدم وتناول معي هذا الطعام اللذيذ .

ولم تمض دقيقة من بدء أكلهما حتى سمعا وقع أقدام ، فصاح فأر المدينة مناديا فأر القرية : «إجر ، لتنقذ حياتك» وخرج الفأران معا . وبعد أن خرج فأر القرية لاهثا قال وهو لا يكاد يمسك أنفاسه : «سأعود توا إلى الحقل لآكل طعامي القذر دون خوف أو عدم اطمئنان ، لأنه من الأفضل لي أن أكون فقيرا وسعيدا من أن أكون غنيا وتعما تركبني الهموم . »

٢٥ ـ الحسد يقتل

كان يعيش فى إحدى المدن رجلاله زوجتان . وكان لكل من هاتين الزوجتين إبنة كبيرة . ولـكن الزوجة الأولى كانت سيئة الخلق مليئة بالحسد والأنانية . وكانت ابنتها (آبيو) Abeo تشبهها تماما فى كسلها وأنانيتها وأخلاقها . أما الزوجة الثانية فـكانت طيبة الخلق ، نشيطة ، متسامحة تعطف على الآخرين وكانت ابنتها (آليك) Alake تتصرف على هدى أمها الطيبة . وقد صدق المثل : « البنت ضلع من أمها »

وكانت آليك تذهب كل يوم لجمع زيت النخيل ، وتنهض من نومها فى الفجر وتعود إلى منزلها عند الغروب . وذات يوم اشترى منها رجل عجوز كل ما كان معها من زيت النخيل، ولـكنه لم يجد فى جيبه مايكفى لدفع مااشتراه . فرجاها الرجل (الذى كان شبحا فى صورة إنسان) أن تذهب معه إلى منزله ليحضر لها النقود . فوافقت آليك على الفور . وفى الطريق أخبرها الرجل بالصعوبات التى ستقابلها حتى يصلا إلى المنزل. فكان عليهما أن يعبرا نهر الموت ونهر الدم . ولـكن آليك كانت شجاعة ولا تخاف شيئا وكانت على استعداد للقيام بأى عمل يدر عليها بعض المال، فتبعت الرجل ولم تخش شيئا . وكانت رحلتهما طويلة ، فأخذا يسيران

ويسيران حتى وجدا نفسيهما فى مكان لازاد فيه ولا ماء . وعندئذ بدأ الرجل يغنى : « عودى يابائعة زيت النخيل » . (يغنيها الحاكى) .

« أعود ؟ لالن أعود » . (يغنيها المستمع) .

« عودى يابائعة زيت النخيل .

« أعود ؟ لالن أعود »

فأكملا طريقهما وبعد ساعات قلائل اقتربا من نهر الموت وبدأ الرجل يغنى ثانية .

« عودى يابائعة زيت النخيل ».

« أعود ؟ لالن أعود » .

« إن لم تعودى ستخوضين نهرا من الدم . . عودى » .

« أعود ؟ لا لن أعود » .

وبعد مسير دام فترة من الوقت وصلا إلى نهر الدم ، ولم يحدث للفتاة شيء . وبعد ذلك بوقت قصير وصلا إلى منزل العجوز . ومدح الرجل آليك وأثنى على قوة تحملها . ودفع لها ثمن زيت النخيل ثم طلب منها أن تدخل حديقة المنزل الخلفية . حيث وجدت أقداحا مصنوعة من جذوع الأشجار وقال لها الرجل : « ستجدين أن بعض هذه الاقداح جذابة للغاية فى حين أن بعضها الآخر قبيح المنظر وغير جذاب بالمرة . ولكن يجب عليك أن تأخذى ثلاثة أقداح من النوع الثانى وتكسرى واحداً منها فى

مفترق أول أربعة طرق تقابلينها ، والثانى فى حديقة منزلك ، والثالث خلف باب أمك بعد أن تغلقيه جيداً . فوافقت آليك على نصيحة العجوز بحذافيرها .

ولما كسرت القدح الأول ظهر أمامها خدم وحشم ساروا خلفها — ولما كسرت الثانى ؛ فيا أجمل ما رات ! لقد وجدت صناديق مليئة بأفخر الملابس وأحسن الرياش . فحمل الخدم والحشم هذه الصناديق وأدخلوها المنزل وحينما دخلت منزلها ،ملكت الدهشة والديها عند رؤية كل هؤلاء الخدم وهم يحملون هذه الأمتعة والثروات . وسرعان مادخلت حجرة أمها وأغلقت الباب خلفها وكسرت القدح الثالث . ترى ماذا رأت ؟ لقد وجدت مجوهرات من الذهب والفضة ، والعقود الغالية والأحجار الكريمة النادرة . فحولت هذه الثروة الطائلة من آليك وأمها أناس أغنياء .

ولكن طيبة آليك وأمها وكرمها حتمتا عليها تقسيم الثروة إلى ثلاثة أقسام ، أعطيتا جزء منها لوالد آليك والآخر للزوجة الأولى ، واحتفظتا بالجزء الثالث . لكن الزوجة الاولى رفضت أن تأخذ شيئا بسبب حسدها وحقدها عليهما . وصممت أن تعرف كيف حصلتا على هذه الثروة حتى تستطيع أن تفعل ما فعلتاه .

ولم تمر فترة قصيرة حتى جعلت الزوجة الاولى من ابنتها بائعة لزيت النخيل بعد أن كانت كسولة خاملة . فكانت تترك المنزل عند بزوغ الفجر ، وتعود إليه بعد غروب الشمس. وذات يوم اشترى رجل عجوز كل ما معها من زيت النخيل ، لكن لم يكن معه نقود كافية لدفع ثمن ما اشتراه . ورجاها أن تذهب معه إلى منزله لكى تقبض الثمن . فوافقت آبيو على الفور . وأخبرها الرجل بالعراقيل التى ستواجهها قبل وصولها إلى منزله ،وأخبرها بوجود نهر الموت والدم اللذين عليهما أن يعبراه قبل الوصول إلى المنزل . فوافقت آبيو بالرغم من هذا وصممت على أن تتبع العجوز لأنها كانت تود الحصول لنفسها على ثروات أعظم مما حصلت عليها آليك .

و بدأ الاثنان رحلتهما فاستمرا فى المسير مدة طويلة حتى وجد نفسيهما فى مكان لا يعرفانه . وعندئذ بدأ يغنى :

« عودى يابائعة زيت النخيل » . (يقولها الراوى) .

« أعود ؟ . لا لن أعود » . (يقولها المتفرج) .

« إن لم تعودى ستواجهى نهر الموت » .

« أعود ؟ لالن أعود » .

« عودى يابائعة زيت النخيل » .

« أعود ؟ لا لن أعود » .

واستمرا فى طريقيهما ، وبعد مرور بعض الوقت وصلا إلى نهر الموت، وعاد الرجل إلى الغناء :

« عودى يابائعة زيت النخيل ».

« أعود ؟ لا لن أعود ».

« إن لم تعودى ستواجهى نهر الدم » .

« أعود ؟ لالن أعود » .

وبعد مسير مسافة قصيرة وصلا إلى نهر الدم .

وسرعان ما وصلا إلى المنزل فمدح الرجل آبيو وأثنى على قوة تحملها ودفع لها ثمن زيت النخيل — علاوة على ذلك أمرهابدخول حديقة منزله الخلفية حيث تجد أقداحا كثيرة مصنوعة من جذوع الأشجار ونصحها قائلا : ستجدين أن بعض هذه الأقداح جميلة المنظر وبعضها الآخر قبيح المنظر وعليك أن تلتقطى ثلاثةأقداح من البعض الآخر . واكسرىأحدها فى أول مفترق تقابلينه والثانى فى الحديقة الخلفية لمنزلك أما الثالث فخلف باب أمك بعد أن تغلقى الحجرة جيدا . لـكن بدلا من أن تعمل آبيو بنصيحة الرجل أخذت ثلاثة أقداح من النوع الأول .

وما أن كسرت أولها حتى ظهرت أمامها حشرات سامة كثيرة أخذت

تلدغها وهى تزوغ منها ، وعندما كسرت ثانيها فى حديقة المنزل ظهر لها عدد ضخم من الغوريلات والقرود الضخمة أخذت تضربها بأيديها. ولكن بالرغم من هذا لم تفقد الأمل فى الحصول على الثروة فدخلت حجرة أمها ونادت أمها معها وأغلقت عليها الباب وكسرت القدح الثالث. وياللهول !! خرجت لها جميع أنواع الثعابين السامة والحيوانات المفترسة وابتلعتها فى الحال. وهكذا انتهى الحسد والطمع بالموت والفناء.

القِسمُ الرّابع

قِصَصُ المخَادِعينْ





٢٦ - ما عليك الا أن تقول « ها »

علم أحد المحامين أن جاره متهم فى قضية سرقة فذهب إلى منزله وقال له : « لو أنك وافقت على اقتسام المال معى فسأعمل على إطلاق سراحك » .

فسأله المتهم بدهشة من لا يكاد يصدق أذنيه : « أحقا تستطيع » ؟

فقال له المحامى واثقاً من نفسه : « طبعا ! ولماذا لا أستطيع » ؟

فوافق المتهم قائلا : « حسنا . . . أوافق على إقتسام المال معك إذا استطعت إطلاق سراحى » وسأل المحامى المتهم عما حدث بالضبط وكان قد اقترب يوم سماع القضية ومناقشتها . فقال المحامى للمتهم : ماعليك إلا أن تتظاهر بالجنون ، حتى إذا ما وجهوا إليك سؤالا قل لهم : « ها » .

فقال المتهم : «آه! هذا بسيط جدا». ووافق على كل ماقاله له المحامى .

وجاء يوم المحاكمة ، ونادى الحاجب على المتهم وقام النائب العام وقال: « مستر بوجو ، جاءنا أنك فى يوم كذا وجدت أن مبلغا من المال قد سرق فى القسم الذى تعمل فيه فما هو مبلغ علمك عن هذا ؟ »

فأجاب المتهم : « ها ! »

فكرر المدعى العام اتهامه مرات متعددة وكانت إجابة بوجو «ها ! ها ».

فسأله القاضي : ألست المستر بوجو ؟

فكانت « ها ! ها ! » هى إجابته الوحيدة لكل سؤال كان موجها إليه . فوقف المحامى وطلب من القاضى شطب القضية ، لأن موكله يعانى مرضا عقليا مريعا فى الأسابيع القليلة الماضية ، وهو على يقين من أن بعض اللصوص قد انتهزوا فرصة مرضه وجنونه وسرقوا تلك النقود . وبعد مناقشة حادة بين المحامى والنائب العام أمر القاضى بحفظ القضية . وبعد انتهاء الجلسة أخذ المحامى موكله ليأخذ نصيبه من المال قائلا : « الآن وقد انتهت القضية وأصبحت حرا هلا أعطيتنى ماتفقنا عليه ؟ »

فأجابه المتهم : « ها ! »

فقال له المحامى « كن جادا الآن واسرع بإعطائى نصيبى » .

فلم تكن هنالك إجابة فى فم اللص إلا كلمة « ها ! » .

فقال المحامى غاضبا . « إننى جاد فى قولى . وعندى ميعاد الساعة الخامسة ، فق إلى نفسك وإعطنى نصيبى . »

ولكن ذهبت جميع محاولات المحامى سدى فى ارجاع المتهم إلى صوابه ، وشعر المحامى بخيبة أمله ، وندم على أنه لم يأخذ نصيبه قبل الوقوف للدفاع عنه . ولكنه أحس فى ذات الوقت أنه كان يجب أن يقف فى جانب العدالة بدلا من أن يؤازر متهما وقف معه ضد المجتمع .

٢٧ – الاعمال الثلاثة

فى مدينة مكتظة بالسكان عاش رجل نبيل كانت له إبنة جميلة جداً . وقد بلغ من جمالها ما جعل نبلاء المدينة يتهافتون عليها ، بل تهافت عليها ملوك وأمراء المدن المجاورة . لكن أباها كان يرد هؤلاء المتهافتين بوضع ثلاثة أعمال يجب أن يقوم بها كل من يتقدم لخطبتها ، لكن أحدا منهم لم يستطع القيام بها .

وذات يوم سمع فلاح ذكى بذلك ، وكان يسكن على بعد خمسين ميلا من المدينة ، وقرر أن يذهب إلى الرجل ويجرب حظه وكان أول ما حدده والد الفتاه هو أن يجلس الخطيب فى حجرة مليئه بالناموس حيث يجلس عاريا بينها وتلدغه الواحدة تلو الأخرى . وثانى شىء أن يأكل مسحوقا من الفلفل الأحمر دون أن يظهر ألمه أو يلوى شفتيه . والعمل والثالث أن يحكى قصة تستمر طوال النهار من شروق الشمس حتى غروبها .

أما عن الشىء الأول فقد تظاهر الفلاح بوصفه لحراسه حصان غريب الشكل قابله فى طريقه إلى المدينة . وأخذ يضرب نفسه فى أماكن مختلفة ليظهر النقط الملونة الغريبة على جسدالفرس الأبيض. وكان يقول: « وجدت حصانا أبيض ، ملونا باللون الأسود والأصفر والأخضر بينما كان جسده

كله مكسيا باللون الأبيض » وبهذه الطريقة استطاع أن يطرد الناموس عن جسده بينما كان الحراس ينظرون إليه مدهوشين حتى انقضت المدة المحددة للجلوس فى الحجرة . ولم يره الحراس وهو يطرد بعوضة واحدة من على جسده ، وذلك يرجع لدهائه ومكره فاعلنوا أنه اجتاز الإختبار الأول . وكان العمل الثانى أن يأكل فلفلا أحمر دون أن يحرك شفتيه أو يلعب فمه أو يبدى أى حركة ألم بلسانه . فوافق الفلاح ، لكن قبل أن يجلس لتناوله ، رمى ببعض حبات القمح على الأرض بالقرب من المكان الذى سيجلس فيه حتى يجذب إليه الدجاج الذى كان يملأ الردهة وكانت كلما حاولت تلك الدجاجات أن تقترب منه لتلتقط الحبوب التى حوله كان يقول للحراس : « إن هذه الدجاجات تضايقنى هش! هش!. » فكان يبعدها عنه وهو يحرك يديه وفمه. وبهذه الطريقة أكل الفلفل دون أية حركة تدل على أنه حاول تخفيف الألم الذى شعر به من الفلفل .

أما عن الحكاية التى تبدأ من أول النهار إلى آخره بدون توقف ، فقد انتظر الفلاح إشراق شمس ذلك اليوم، وسرعان ما أشرق فجر ذلك اليوم وقرر الفلاح أن يؤدى ذلك العمل الأخير بكل مالديه من شجاعة وجرأة، حتى يفوز بأجمل امرأة فى المدينة .

وبدأ الفلاح قصته قائلا : « أثناء الحصاد الأخير، عبأت جوالات كثيرة

من القمح ووضعتها فى مخزن . وسرعان ما شعرت بوجود فأر فى المخزن ، ولذلك قررت أن اراقبه حتى استوثق من ذلك، فرأيت فأرا أخذ يقرض جوالا حتى فتح ثقبافيه . ثم التقط حبة منه وجرى إلى جحرة ثم عاد ثانيه والتقط إحداها ثم أخرى فثالثه فرابعه »وأخذ يعد الفلاح حتى سئم الجميع وحل الظلام على المدينة .

ووجد والد الفتاة أنه لا يستطيع الإعتراض على الفلاح أو يمسك عليه فرصة ،ولذلك وافق على زواج ابنته للخطيب الوحيد الذى اجتاز الإختبارات الثلاثة .

٢٨ - السلحفاة وإشارة الحرب

كل منا يعرف أن فرس البحر قوى جدا . وفى الحقيقة فهو يعتبر من أقوى الحيوانات على وجه الأرض . ولكن ذات يوم ذهبت السلحفاة إليه وقالت له : « يقال أنك قوى جدا ، ولكن هل يدهشك أن أقول لك أننى أستطيع أن أجذبك خارج الماء ؟ »

فابتسم فرس البحر ساخرا من السلحفاة : « ماذا تقولين ؟ أتمزحين ؟ أأنت تجذبيننى من الماء ؟ إنك صغيرة جداً . ولا تستطيعين أن تفعلى ذلك » .

ولكن السلحفاة أكدت له قائلة : « كلا .. إننى أستطيع أن أفعل ذلك » .

فقال لها فرس البحر : « كم ستكون دهشتى لو فعلت ذلك ـ حسنا ـ إننى موافق على محاولتك تلك » . وعلى هذا حددت السلحفاة يوما لفرس البحر لتختبر قوته .

ثم تركته السلحفاة وذهبت إلى الفيل وقالت له : « يقال أنك قوى جدا ولكن هل تصدق أننى أستطيع إدخالك فى النهر » .

فقال لها الفيل : « إنك ضئيلة جدا » .

وأكدت له السلحفاة قائلة : ولكننى متأكدة أنى أستطيع أن أفعل ذلك » .

فوافق الفيل قائلا : « حسنا ، فلنحاول ذلك » .

فحددت له السلحفاة يوما لاختبار قوته ـ وكان هو نفس اليوم الذى حددته لفرس النهر .

وفى اليوم المحدد أحضرت السلحفاة حبلا قويا جدا . وكانت جميع الحيوانات حاضرة فى ذلك اليوم لترى ما سيحدث .

فنزلت السلحفاة إلى حافة النهر وأعطت طرفا من الحبل إلى فرس النهر وقالت له : « امسك بهذا الطرف ، ولكن لاتشد الحبل إلا بعد أن أهزه لك » .

وخرجت السلحفاة من النهر كما لو أنها مستعدة لجذب فرس النهر ، لكنها فى الحقيقة ذهبت إلى الفيل وأعطته الطرف الآخر من الحبل وقالت له : امسك بهذا الطرف لكن لاتجذب الحبل إلا بعد أن أهزه لك . « لكن السلحفاة ذهبت إلى شاطىء النهر واختفت وراء شجرة بعد أن هزت الحبل .

وبدأ فرس النهر يشد ، وكذلك الفيل . وحاول كل منهما جهده أن يخرج الآخر من السباق واستمر هذا من الصباح حتى المساء .

فقال فرس النهر فى نفسه متعجبا : « أمن المعقول أن تـكون السلحفاة بمثل هذا الجبروت ؟» وفى مثل نفس الوقت قال الفيل لنفسه : « أمن المعقول أن تـكون السلحفاة بمثل هذا الجبروت ؟ »

وانتاب حب الاستطلاع فرس النهر حتى غطى ذلك على تردده فى أنه يقبل هزيمة السلحفاة له . وأخذ يسير ببطء من الجزء الغريق فى النهر فى اتجاه الشاطىء ليتأكد من أن السلحفاة هى التى تجذب الطرف الآخر من الحبل .

كما أن نفس حب الاستطلاع تملك الفيل ، لدرجة أن ذلك غطى على شرف الانتصار على السلحفاة . وبدأ يسير متباطئاً نحو حافةالنهر ليتأكد من أن السلحفاة هى التى تجذب الطرف الآخر من الحبل .

وحينما تقابل فرس النهر والفيل فى المياه الضحلة عند حافة النهر اكتشفا أنهما يجذبان فى مقابل بعضهما . ولـكن الفيل كان قد دخل النهر كما أن فرس النهر كان قد خرج منه بفضل حيلة السلحفاة وفصاحتها .

المغزى : « القوة موطنها العقل تماما مثلما هى فى الجسم » .

٢٩ - الفيل والسلحفاة

أصاب المرض ملك إحدى البلاد ، فدعا إليه جميع أطباء الدولة لإجراء الكشف عليه ، و بعد فحص الملك قرروا جميعا أنه ينبغى على الملك أن يأكل قلب فيل حتى يشفى .

و بالطبع لم يكن من السهل الحصول على فيل ؛ وعلى هذا أرسل الملك رئيس خدم بلاطه ليبحث عن شخص يمكنه إحضار قلب فيل . ولكن لم يرغب أحد فى عمل ذلك ، لأن هذا العمل يتطلب مخاطرة كبيرة .

وعلمت السلحفاة بالخبر فذهبت إلى الملك ووعدته بإحضار قلب فيل إلى أطبائه من أجل إجراء العلاج اللازم . ولكنها طلبت من الملك أن يعطيها أحد أثوابه التى يلبسها دائما ، ووعاء مملوءاً بطعام الملك المفضل . ثم أخذت السلحفاة هذه الأشياء وذهبت إلى الغابة .

وأخذت تنظر حولها مدة طويلة وأخيرا استطاعت أن تلمح فيلا عن بعد . فسارت إليه على مهل ، وحينما وصلت إليه خرت راكعة أمامه بالطريقة التى يحيون بها الملوك . ولم يفهم الفيل ماتقصده السلحفاة فأخبرته السلحفاة بأن الملك قد مات وقرر الشعب أن يختار الفيل ملكا له . ولم يصدق الفيل ماسمع لأنه كان عجيبا أن يسمع مثل ذلك الخبر .

ولـكن السلحفاة لم تقم من مكانها وظلت جاثية فيه ثم مدت يدها إلى الفيل وأعطته وعاء الطعام الملـكى وقالت له إن الوزراء قد أرسلوا إليه هذا الطعام ثم قالت له : «تفضل كل فهذا هو الطعام الملـكى دائما » . وبعد إعلان السلحفاة لذلك النبأ الأخير تملـكت الدهشة الفيل حتى أن الفيل لم يصدق ماراه . ولـكن السلحفاة لم تنثن عن عزمها . وتقدمت إليه بلباس الملك التى أحضرته معها وقالت له . « والآن أيها الفيل العظيم عليك أن تذهب معى على الفور إلى المدينة حتى تصل فى الوقت المناسب لتتويجك .

وكان يصادق الفيل طائرا صغيرا ، وكان هذا الطائر فى مدينة الملك المريض وسمع بقصته وعلم بأنهم يبحثون عن شخص ما لإحضار قلب فيل للملك . وحينما علم بما فعلته السلحفاة نصحه بعدم الذهاب وقال له إن السلحفاة قد جاءت لتخدعه ولـكن الفيل رفض أن يصدق ماقاله صديقه .

واستمر الطائر الصغير فى نصيحة صديقه الفيل ثم غنى أنشودة قصيرة حذره فيها ألا يثق فى هذا الصديق الجديد وأن يعمل بنصيحة صديقه القديم فتسرب الشك إلى قلبه من جهة السلحفاة .

وخشيت السلحفاة أن يخيب أملها ولا تحقق الغرض الذى جاءت من أجله ، فأخذت تغنى هى الأخرى أنشودة عن العظمة والمجد اللذين سينعم

بهما الفيل بعد أن يصبح ملكا . فأصغى الفيل إلى السلحفاة وتخيل نفسه ملكا فعلا .

وفى تلك اللحظة اغتاظ الصديق القديم من تأثير أنشودة السلحفاة وبدأ يغنى أنشودة أخرى يحذره فيها ، ولكن السلحفاة تدخلت مرة أخرى وأغرت الفيل بأنشودة أخرى تذكره بالمجد والعظمة حينما يكون ملكا . كما أنها كلما كانت تلاحظ تسرب الشك إلى نفسه ، كانت تقدم له بعض الطعام الملكى الذى أحضرته معها وكان كلما أكل منه الفيل وشعر بطعمه اللذيذ سار ببطء برفقة السلحفاة نحو المدينة . ولكن الطائر لم يسكت أبدا بل استمر فى انشودته ليحذره ولكن الفيل لم يعره أذنيه .

وأخيرا وصل الفيل والسلحفاة إلى المدينة وكان متوجى الملك قد عملوا على أن تمتلىء المدينة كلها بالشعب ، وكان كل هذا الشعب يحيى الفيل ويهتف له على أنه الملك الذى اختاره وركعت السلحفاة أمام الفيل بينما كان الشعب يهتف ويقول : « لقد أقبل ملكنا الجديد » .

وأقام متوجى الملك منصة كبيرة وحفروا تحتها حفرة عميقة جدا . وحينما صعد الفيل على المنصة أسقط حمله المنصه فوقع فى الحفرة . ولم يستطع

أن يخرج ثانية كما أن الشعب أخذ يضرب الفيل حتى مات . وبهذه الطريقة استطاعت السلحفاة أن تقدم للملك قلب فيل .

المغزى الأخلاقى للقصة : يجب على المرء أن يعتمد على أصدقائه المخلصين أكثر مما يعتمد على أصدقائه غير المخلصين كما يجب عليه أن يستخدم عقله وتفكيره كلما وسعه ذلك . فلو تقرر حقا أن يكون الفيل ملكا لكانوا أرسلوا له شخصا ذا مركز أعظم من مركز السلحفاة وكان على الفيل أن يفهم ذلك .

٣٠ - الفتاة التى عرفت الملك

كان أحد الملوك معتادا أن يفطر طعاما مايسمى « أوكارا » وهو عبارة عن كعكة محمرة وفول مضروب . وكانوا يحصلون على تلك الكعكة المحمرة من فتاة معينة ، وكانت كلما ذهبت تلك الفتاة إلى قصر الملك تقف لتتفرج على ببغاء الملك ، وكانت تعطيه كذلك قطعة من الفطير المحمر ، بينما كانت تقدم للملك فطيرته .

وبدأت هذه الفتاة تفتخر بأنها تعرف الملك لكل فتاة تقابلها . وكان هذا بالطبع شيئا خطيرا جدا . لأن الشعب كان يعتقد أن الملك قد اختاره الله ليحكم على الأرض ، ومن الجنون أن تدعى امرأة من الشعب أنها تعرف الملك : ولكن كانت تلك الفتاة صغيرة السن ولاتفكر فيما تفعله ولذلك استمرت فى إخبار الناس بأنها تستطيع التعرف على الملك فى أى مكان

وعلم الملك بهذا الأمر ، فأمر حاشيته على الفور أن يحضروا تلك الفتاة ويقيمون حفلة لاختبارها . وفى الاختبار لم يلبس الملك لباسه المعتاد بل لبس ملابس ممزقة ومهلهلة . كما أنه لم يرجل شعره ، ولم يقلم أظافره وسار حافى القدمين ، لدرجة أن أقرب الأقربين إليه كان من الصعب عليه أن

يتعرف عليه . ودعيت الفتاة إلى القصر للتعرف على الملك أمام الشعب كله .

ولحسن حظها أن الببغاء كان قد هرب من قفصه وأخذ يغنى قائلا : هاهو الملك يلبس ثيابا ممزقة . هاهو الملك ! أنظرى فقط إلى الناحية التى أشير إليها بريشى ، هاهو الملك يرتدى ثيابا بالية ـ هاهو الملك ! »

وانتاب أصدقاء الملك قلق بالغ عند سماعهم صوت الببغاء ، وحاولوا أن يمسكوه . ولكن الببغاء طار بعيدا عنهم وأخذ يغنى نفس الأغنية ثانية وقال لها إنه يجب أن تتبع اتجاه ريشه حتى تتعرف على الملك .

وكلما استمر الببغاء فى غنائه كلما ازداد غضب رجال البلاط وقرروا قتل الببغاء ـ ولكنه طار مسافة قصيرة ثم عاد ثانية . وأخذ يغنى مرات متوالية حتى فهمت الفتاة مايعنيه . واستطاعت التعرف على الملك .

وبما أنها استطاعت التعرف على الملك فكان لزاما عليه أن يعطيها نصف ما يملك ، فأصبحت الفتاه وعائلتها ، تضارع الملك فى الثروة والثراء .

٣١ - الجسد الموضوع فى الكفن

فى وقت من الأوقات ندر اللحم جدا فى إحدى المدن لدرجة أنه أصبح من الصعب العثور عليه ولو بالحب والمال. ولكن اكتشف رجلان من هذه المدينة أن القنافذ تربى بكثرة فى المدينة المجاورة. فاستعطفا صاحبها أن يبيع لهما قنفذا أو قنفذين على الأقل ولكنه رفض أن يبيع لهما شيئا فلجآ إلى طريقة أخرى للحصول على القنفذ لأنهما كانا فى حاجة ملحة إلى اللحم. وكانت الطريقة الوحيدة هى السرقة. ولكن كيف يمكنهما حمل القنفذ إلى مدينتهما دون اكتشاف مر هذه السرقة؟

وفى فجر يوم من الأيام ذهبا فى سرية تامة إلى المكان الذى تربى فيه القنافذ، وأمسكا بأحدها وقتلاه ثم وضعاه فى كفن كانا قد أخذاه معهما لهذا الغرض. ومع شروق الشمس كانا قد وصلا إلى مدينتهما وهما يغنيان أغانى الحداد.

وبينما كانا سائرين اقترب منهما مسافران يتناقشان فقال أحدهما: « أعتقد أن الرجل الذى فى هذا الكفن به بقية من حياة. » فقال له الآخر مؤكدا: « ولكنى متأكد أن الرجل الموجود فى هذا الكفن قدمات فعلا »

فرد عليه المسافر الأول : وكيف يمكنك الوثوق مما تقول ؟

فاقترح عليه المسافر الثانى أن يسألا الرجلين اللذين يحملان ذلك الكفن فوافق المسافر الأول على هذا الاقتراح .

ودهش الرجلان اللذان يحملان النعش عند سماعهما حوار الرجلين المسافرين وانتابتهما الحيرة حتى أنهما فسراها خطأ . وسرعان ما اعتراهما الخوف والرعب ووخز الضمير ، واشتدت المنافسة بينهما فتشاجرا مع المسافرين وانتهى الأمر بمثولهم أمام رجل البوليس . وبعد اجراء استجواب طويل طلب الضابط فتح الكفن ورؤية ما فيه . وعند فتح الكفن لم يجدوا لا نصف ميت ولا حتى ميتا كاملا ولكنهم وجدوا قنفذا مذبوحا منذ ساعات .

فاتهم الرجلان بالسرقة ، وعلى الرغم من أنهما طلبا العفو والسماح لاضطرارهما إلى سرقة هذا القنفذ ، إلا أنهما حكم عليهما بعقوبة السجن ثلاث سنوات لارتكابهما هذه الجريمة الشائنة .

٣٢ - المكافأة

قابلت السلحفاة الأسد فى يوم من الأيام وقالت له : « أعتقد أن حيوانات هذه المنطقة قد أصابها الجنون لأنها تروح وتغدو دون أن تعمل حسابا لأمنها » . فقال لها الاسد مدهوشا : « أوه ، ولكنى كنت أبحث عن الحيوانات منذ فترة قصيرة فلم أجد واحدا منها ».

ولما كانت السلحفاة تعرف مدى حاجة الأسد إلى الطعام ـ أو بالأحرى ـ لحم تلك الحيوانات التى تسير باستهتار ، ووعدته أن تريه المكان الذى تختبىء فيه تلك الحيوانات وطلبت منه أن يأتى معها على الفور . فوافق الاسد وسار خلفها وهو واثق من أنها ستقدم له غذاء شهيا .

ولكن قبل أن تترك السلحفاة منزلها ، كانت قد أخبرت شقيقتها بإعداد برميل ملىء بالماء المغلى . وحينما اقتربت السلحفاة والأسد من المنزل قالت له السلحفاه : « عليك أن تخفى نفسك داخل هذه الحقيبة لأن الحيوانات لن تعرفك بهذه الطريقة . » فوافق الأسد الجوعان الواثق وقال لها : « إنها فكرة جميلة لأننا إن لم نفعل هذا هربوا جميعا ولن يبق

لهم أثر . » ثم وضع نفسه فى الحقيبة مسرورا سعيدا .

فربطت السلحفاة الحقيبة ـ ربطتها بما وسعها من قوة وجرتها إلى منزلها . وحينما وصلت السلحفاة إلى المنزل ، حيث أختها وصغارها ، أشارت اليهم بالسكوت ورفعت الغطاء عن برميل الماء المغلى ، وطلبت منهم مساعدتها فى رفع الأسد ووضعه فى البرميل وهى تطمئن الأسد فى ذلك الوقت أنها ستضعه فى مخبأ أمين حتى تجمع له الحيوانات . وسرعان ما كان فى وسط المـاء المغلى .

فأخذ يصارع المـاء وهو فى البرميل مدة وجيزة ، ولـكن صراعه باء بالفشل وسرعان ماعاد الهدوء الى مايحتويه البرميل . واجتمعت الحيوانات كلها لترى كيف أن ذلك الحيوان الضخم المفزع ، قادته معدته إلى حيث مثواه الأخير .

٣٣ - الحبيبـــان

فى إحدى القرى عاشت امرأة وزوجها فى غاية السعادة بعد زواجهما ، ولـكن بعد فترة قصيرة أحست الزوجة بالضجر من زوجها لأسباب معينة فإنها لم تعد تجد السعادة التى تريدها فى منزلها ،ولهذا لجأت إلى إقامة علاقة حب مع شباب القرى المجاورة . فأخبر أصدقاء الزوج صديقهم بخيانة زوجته ولـكنه لم يعرهم التفاتاً .

وكان هذا الزوج يقوم بعمله ليلا ؛ وكان هذا الوقت مناسباً لزيارة عشاق الزوجة . وذات يوم اعترى الزوج المرض فعاد إلى منزله مبكراً على غير عادته . ولم يكن العشاق يعرفون أن الزوج موجود بالمنزل . وكالمعتاد سار أحدهم على أطراف أصابعه إلى الحديقة الخلفية للمنزل أملا فى مغازلته للزوجة . ولـكن الزوجة أشارت إليه أن زوجها فى المنزل فتملـكته الحيرة والاضطراب ، واختبأ تحت إصيص كبير كان موجودا فى الحديقة الخلفية فى ذلك الوقت .

و بعد وقت قصير جاء عاشق آخر وكان الظلام قد أرخى سدوله ، فلم تستطع الزوجة أن تنبهه إلى وجود زوجها . فدخل الرجل وفجأة وجد نفسه وجهاً لوجه مع زوجها فانتفض جسمه كله من الارتعاش .

فسأله الزوج حانقاً : « عم تبحث يا هذا » ؟

فقال له الرجل المسكين ، وهو لا يكاد يجمع شتات جسده : « أريد أن أحمل إصيص الزرع الكبير الموجود بالحديقة الخلفية إلى حقلى وأنا الآن بسبيل البحث عمن يساعدنى فى حمله على ظهرى » .

فقال له الزوج : « أوه ، سأساعدك أنا » . وغادر فراشه وتبع الرجل الثانى إلى مكان الأصيص .

فقال العاشق لزوج عشيقته بينما كان يساعده فى حمل الأصيص : « إنه ثقيل جداً » .

و بعد أن ترك الرجل الثانى الزوج وزوجته — أخذ يهمس لنفسه قائلا : « يا لها من ورطة أوقعت فيها نفسى » . فرد عليه العاشق الأول الموجود فى الأصيص : « ولكنك أحسن حالا منى ، فإننى أكاد أن أختنق فى هذا الأصيص المغلق .

فصاح الرجل الثانى الذى كان يحمل الأصيص : « ما هذا ؟ وألقى بالأصيص من فوق ظهره وفر هارباً .

القِسْمُ الخَامِسُ

قصص الخصوبة





٣٤ - الوعـــد

كانت زوجة أحد الفلاحين عاقراً ، ولا تأتى بأطفال . وهذه تعتبر نكبة بالنسبة لسيدات المجتمع الأوروبى . فأية إمرأة لا تلد أطفالا تعتبر موضعاً للسخرية فى وسط الزوجات الأخريات .

وأحست تلك المرأة بالتعاسة وسوء الحظ ،لأنها لم تنجب طفلا واحداً فى حياتها كما أنها كانت متقدمة فى السن ، واستمرت الزوجات الأخريات فى السخرية منها حتى أنها قررت — أخيراً — أن تذهب إلى الغابة وتتوسل إلى الإله ، وتقدم له القرابين والوعود بعد أن يعطيها طفلا .

ولما كانت هذه المرأة عاقراً وكبيرة فى السن فقد أخذت على نفسها وعداً قاسياً . فبينما كانت النساء الأخريات تذهبن إلى هذا الإله وتعده بإحضار عنزة أو خروف ، وعدت هذه المرأة باحضار أول مولود لها قرباناً له بدلا من عنزة أو خروف .

لقد كان وعداً مبالغاً فيه فعلا ، ولكن ما دامت قد أخذته على نفسها فعليها واجب الوفاء به . وعندئذ ناولها الإله بعض الدواء ، وعادت إلى منزلها ؛ ولم تمض فترة طويلة حتى حملت وأنجبت . ونحن نعرف أن جميع الزوجات الأخريات كن يذهبن إلى الإله ويقدمن له ما وعدن به مهما كان ، ولكن هذه المرأة لم تستطع الرجوع إلى الإله لأنها شعرت بحرج موقفها وفداحة ماهى مقدمة عليه ، لو أنها تخلت عن وليدها وقدمته للإله قرباناً ، وخصوصاً وأن أول مولود لها كان أبيض البشرة جميلا .

وبعد مدة طويلة من الزمن ذهب إليها ، وطلب منها أن تبر بوعدها فانتابتها الرعشة ثم انطلقت فى صراخ وأخذت تغنى أنشودة تتوسل فيها أن يترك وليدها ، ولكن لم يجد تأثيرها . فذهبت إلى زوجها وأخبرته بالوعد الذى أخذته على نفسها . فلم يستطع الزوج أن يفعل شيئاً . وكان عليها أن تعطى الإله أول ابن لها . وهكذا فقدت ابنها الأول لأنها وعدت وعداً أقسى مما تحتمل على نفسها .

المغزى : « على الإنسان ألا يعد وعداً لا يستطيع الوفاء به ، وليس ضروريا أن يعد بما هو ثمين . فما دام الإنسان لا يستطيع أن يهب شيئاً ليس فى مقدوره فمن الجنون أن يعد به . والهدية البسيطة أفضل بكثير من الوعد بشيء لا يمكن تحقيقه » .

٣٥ – الزوجات الثلاث وإناء الاخصاب

تزوج رجل واحد بثلاث نساء ، ولكنهن لم ينجبن أطفالا . فأحس بالضجر ، فذهب إلى أحد العلماء ليستشيره فيما يستطيع عمله رغبة فى جعل زوجاته تنجبن أطفالا له .

فأعد هذا العالم طعاماً خاصاً لتتناوله زوجاته ، وقال للرجل إنه بمجرد تناول زوجاته هذا الطعام فإنهن سيحملن وينجبن . ووضع الشيخ الطعام فى إناء وناوله إياه للرجل .

وحمل هذا الرجل الإناء إلى منزله وأخبر زوجاته الثلاث بما أخبره به الشيخ ، وقال إنه يجب على كل منهن أن تتناول من هذا الطعام .

ولكن كانت زوجتان له تكره الثالثة ، فأرسلاها لشراء بعض الحاجيات ، وانتهزا الفرصة وأتيا على الطعام ، وعندعودتها ، وجدت أن الطعام كله قد انتهى باستثناء بعض الفضلات التى علقت بالإناء ، ولم يكن فى مقدورها أن تعمـــل شيئاً ، إلا أن مدت يدها لتقتات ما علق بجدار الإناء .

ولحسن حظها أن الدواء المختلط بالطعام كان قد ترسب فى قاع الإناء

على حين أن الزوجتين لم تحملا ، لأن ما التهماه من طعام لم يكن به أثر للدواء ، ولهذا شعرتا بالاستياء والتعاسة .

ولما أدركت الزوجتان أن الزوجة الثالثة ستلد طفلا ، قررتا أن ترسما خطة أخرى لحرمانها من وليدها . وعند ولادتها ، أعدت الزوجتان قطعة من الحجر من نفس حجم طفلها وخضبتاه بالدم . ثم وضعتاه تحت المرأة بدلا من الطفل المولود حديثاً ، وأخذتا الوليد بعيداً .

و بمجرد شعور الزوجة الثالثة بمولد ابنها طلبت منهما أن يرياها طفلها فقدمت الزوجتان قطعة الحجر وقالتا لها إن هذا هو ما حملته ، وأن ذلك هو طفلها . وشعرت الزوجة بحزن عميق ولم تستطع أن تصدق ما رأته . وفى نفس الوقت حملت الزوجتان الطفل إلى قرية قريبة وأعطيتاه لإحدى النسوة للاشراف على تربيته .

وفى يوم من الأيام ذهبت الزوجة الثالثة إلى السوق وعلمت من النساء قصة طفلها . فرأت الطفل وشاهدت بعض التشابه بينها و بينه . وعلى هذا ذهبت إلى زوجها وأخبرته بما رأت .

وقال إن بنوة ذلك الطفل يجب وضعها تحت الاختبار ؛ وأمرا كلا من زوجاته الثلاث بإعداد طعام لتقدنه للطفل ؛ ثم دعوا الطفل لحضور

تلك المأدبة ليتذوق ما شاء من الطعام . وقالوا إن اناء الطعام الذى سيأكل منه سيكون بالتأكيد هو الذى أعدته الأم الحقيقية .

ولكن أم الطفل لم يكن فى مقدورها شراء طعام غالى الثمن ، فاضطرت إلى شراء طعام رخيص غير لذيذ الطعم ، فى حين أن المرأتين الأخرتين أنفقتا الكثير لإعداد مائدة شهية للطفل حتى جذبا انتباهه . و بعد ذلك دعى الطفل ليتذوق من الأوانى الثلاثة كل على حدة .

ولم يدر بخلد أحد منهن أن الطفل سيجذبه طعام أمه الذى أعدته له لأنه كان أقل الأطعمة الموجودة مذاقاً ، ولكن لشد ما كانت دهشة الزوجتين الغيورتين عند ما رأتا الطفل يذهب مباشرة الى وعاء والدته ، ويأكل منه بشهية . وعلى هذا أعلنتا أن تلك المرأة هى الأم الحقيقية لهذا الطفل وأن هذا الطفل هو الابن الحقيقى لتلك المرأة .

٣٦ - الرجل ووعاء الإخصاب

أحس رجل بقلق شديد من العقم الذى أصاب زوجته ، ولهذا ذهب إلى أحد الشيوخ ليساعده . فأعد هذا الشيخ طعاماً خاصاً حتى تخصب الزوجة ، ولـكنه حذره من هذا الطعام ونصحه ألا يذوق منه شيئاً ، ولو حتى سقطت نقطة من هذا الطعام على يده فعليه أن يغسلها تواً ، فلا يلعقها بلسانه ولا يأكل منها شيئاً . فوافق الرجل على ألا يأكل من ذلك الطعام .

وفى طريقه إلى المنزل تعثر الرجل فى حجر اعترضه ، فسقط منه الإناء الذى يحتوى على طعام الإخصاب وتحطم وانسكب ما فيه . وأغراه منظر الطعام حتى أنه أخذ يلعقه بأصابعه . وكلما قرر ألا يأكل منه كلما كان ذلك دافعاً على الأكل منه .

وأخيراً لم يستطع أن يتحاشى الإغراء أو يقاوم سلطانه فأخذ يلعقه منه بلسانه . وجمع ما تبقى منه بعد ذلك ووضعه فى الاناء . وسار فى طريقه إلى المنزل وقبل أن يأتى على آخر الطريق أغراه باقى الطعام ، فأكل نصفه وأبقى النصف الآخر .

ولهذا لم تحمل الزوجة فقط . . . بل حمل زوجها أيضاً وكانت هذه

الظاهرة غريبة حقاً وتدعو للسخرية لأن سكان تلك المدينة لم يسمعوا مطلقاً عن رجل يحمل فى بطنه جنيناً .

وحين قرب موعد وضع الرجل وزوجته ، إنتابت الزوج حيرة بالغة وقلق متزايد . وكان من المستحيل أن يلد . فعاد إلى الشيخ ، وطلب مساعدته على منع هذه الكارثة أو إيقافها نهائيا .

ولكن الشيخ أظهر الأسف له قائلا إنه قد حذره من سلطان الاغراء ولكنه لم يعمل بتحذيره ، ولم يكن باستطاعة إنسان أن يفعل من أجله شيئا . فقد زرع الزوج الشوك وعليه أن يحصد ما زرعه .

٣٧ - السلحفاة وإناء الطعام المحرم

إجتاح الضيق زوج السلحفاة لعقم زوجته ، فذهب إلى أحد الشيوخ يطلب نصيحته ، ويرجوه أن يعطيه بعض الدواء . فوعده الشيخ بالمساعدة وأعد له الشيخ بعض الدواء فى هيئة طعام ، بكل ما لديه من مهارة وجهد ثم أعطاه لزوج السلحفاة فى إناء صغير .

وأضاف الشيخ قائلا « هذا الدواء لا يخيب أبداً فى علاج العقم . ولا يجب عليك أن تفتح هذا الإناء ، بل إعطه لزوجتك وقل لها أن تتجرعه ولا تبقى منه شيئاً » .

وأمسك زوج السلحفاة بذلك الإناء الصغير ، وعاد مسروراً إلى زوجته ، ولكنه حينما كان فى طريقه إلى المنزل فاحت رائحة طعام جميلة ، فقال لنفسه « لا أعتقد أن مثل هذه الرائحة الجميلة من الممكن أن تخرج من مثل هذا الدواء » . ثم أخذ يشم ويشم ولكنه لم يستطع معرفة مصدر تلك الرائحة فوضع الإناء الصغير على الأرض وذهب ليبحث عن رائحة الطعام الجميلة . ولكنه دهش لأنه كلما ابتعد عن إناء الدواء كلما ضعف تأثير الرائحة الجميلة وتلاشى . فاكتشف أخيراً أن تلك الرائحة كانت منبعثة من الطعام الذى

كان يحمله لزوجته . وكانت الرائحة جميلة جداً ، ومثيرة للشهية لدرجة أن زوج السلحفاة لم يستطع مقاومة سلطان إغراء ذلك الطعام المحرم وعدم الإصغاء لأوامر الشيخ . و بعد صراع شديد بينه و بين نفسه خضع أخيراً لسلطان الإغراء ، بعد أن أقنع نفسه بأنه لوفتح ذلك الإناء لرؤية مابه لن يضيره شيئاً . وعند ما فتح الإناء أحس بإغراء شديد كان يدفعه إلى تذوق ما به . فشعر بأن رغبته قد ازدادت شغفاً ، وأحس بجوع شديد جداً . ولم يدم طويلا على هذه الحال وتذوق الطعام آخر الأمر .

ولم يقف الحال على هذا بل انقلب من تذوق الطعام إلى احتسائه . وقبل أن يدرك تماماً ما فعله وما سيجنيه منه من نتائج وخيمة حتى وجد أن معدته قد انتفخت بشكل غير عادى . وأحس زوج السلحفاة بخوف شديد وعاد إلى الشيخ وهو يتملكه الرعب والفزع ليرجوه أن يخلصه من ذنبه هذا ومما امتلأت به معدته .

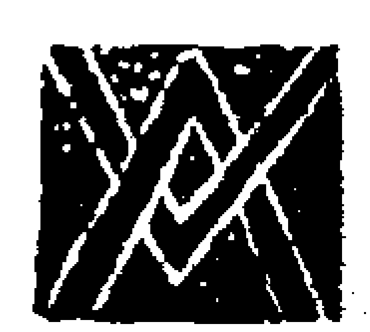
فقال له الشيخ بجفاء وقسوة : « إن قرارى لا يرد ، وتعليماتى نهائية لا تنقض » .

فاستعطفه زوج السلحفاة قائلا : « إن عصيانى لم يكن مقصوداً فلقد تعثرت فى قطعة من الحجر ، وتناثرت بعض النقط على جسدى ، ثم وضعتها فى

فمى مصادفة لا عمداً » . ولكن الشيخ لم يقتنع بهذه الحجة الواهية .

وعاد زوج السلحفاة الى منزله وهو فى تلك الحالة اليائسة ؛ غير قادر على أن يقص على زوجته ما حدث ، وأخذ يتألم فى سريرته - وأخيراً مات من الحمل الذى كان يبحث عنه لزوجته . وعلم جيداً قبل موته أن الحمل من الممكن أن يكون خطراً .

تحليل وتعليق :



١ - أساطير عشاق من الجن

تنتمى هذه القصص إلى مجموعة كبيرة من القصص الشعبية التى تتناول مواضيع عشاق العالم الآخر ، وهم ما نسميهم دائماً « عشاق من الجن » . ففى بعض الأحيان ينزل إلى الأرض أصدقاء مخلدون من مملكة الآلهة كما هو الحال فى قصة كيوبيد وسايكى » ، وأحياناً يكون هؤلاء الأصدقاء عشاق من الجن كما هو الحال فى « الأنشودة الإسكتلندية » التى تقابلت فيها ملكة الجن مع « توماس رايمر » فى أرض المراعى . وأحياناً أخرى يخرجون فى شكل جنيات أو حوريات مائية ، ودائماً تكون هذه المخلوقات مرتبطة بمملكة الحيوان وقد تكون حيوانات كاسرة تحولت بأعجوبة إلى شكل انسانى ، أو أنها العكس فقد تكون مخلوقات بشرية وسحرت وتحولت لفترة من الزمن الى حيوانات كاسرة أو أليفة . و يبدو أن معظم القصص الواردة فى هذا القسم ذات أصل قديم جداً .

١ - الصياد والغزالة

يبدو أن هذه القصة تحوير طفيف للقصة الشهيرة « البجعة العذراء » التى تعالج موضوع العشاق بين المخلوقات التى لا تنتمى لهذه الأرض . وقصة البجعة العذراء بسيطة جدا من ناحية تركيبها و إطارها القصصى ، فهى قصة فتى يقترب من مجموعة فتيات يستحممن فى بحيرة . و يأخذ فى النظر إليهن ، و بينما هو كذلك يرى بالصدفة مجموعة من الريش ملقاة على الشاطىء بدلا من الملابس العادية . وحينذاك يعرف أن الفتيات تنتمين إلى عالم يختلف عن هذا العالم . فيخبىء ريش إحداها و يصبح محالا على صاحبته أن تعود إلى هيئة البجعة ، و بذلك يكسب لنفسه زوجة جميلة . لكن فى العادة تعرف المرأة مكان ريشها بعد مرور بعض الوقت إما بالصدفة أو عن طريق أحد الأعداء فتعود إلى شكلها الأصلى . وتنقلب هذه الفكرة فى قصة «أولا و انى إيد يوى» إلى غزالة ، و يصبح بطلها صيادا ثم يجرى فيها بعض التعديلات تبعا لما تمليه ظروف البيئة الأفريقية ، ونجد فى قصة « صياد كان ملكا » ظهور الناحية الأخلاقية والتعليمية بوضوح بالغ جداً ، فهى تؤكد لنا شيئا واحداً وهو أن الإنسان له فرصة واحدة فقط فى حياته ، ولا يمكن أن يعوضها . فى حين أنه فى القصص العادية التى

تعالج مثل هذه المواضيع ؛ نجد أنه حينما يرتكب المحب أحد المحرمات التى حرمتها عليه حبيبته يكون أمامه فرصة أخرى ليكفر بها عن ذنبه و يصلح خطأه . ولهذا لانجد « پسايكى » تفقد « كيو بيد » إلى الأبد ، كما أن قصة « شرق الشمس وغرب القمر » لا تنتهى بمأساة حينما تختطف البطلة النظرة المحرمة إلى أميرها الدب .

وفى الحقيقة هناك قصة أخرى تلى قصة البجعة وهى « الرجل الذى يبحث عن زوجته المفقودة » أو « البحث عن الزوج المفقود » . ونجد فى « الصياد والغزالة » أن الحنث بالقسم كانت عاقبته وخيمة على الجميع .

و إذا ما سمعنا لهذه القصة بذلك التحريف فإننا سنجد أنها من النوع الذى يعتبر نموذجا من صميم الخيال الشعبى ؛ وهو ذلك الشكل الأدبى الذى يستخدمه كتاب مختلفون فى أماكن متفرقة كثيرة لا توجد بينهم أية وسيلة للربط أو الإتصال بينهم و ينبنى هذا النوع على انتهاك شرطين محرمين : —

١ — تمنع الزوجة زوجها من أن يكشف لأى شخص عن طبيعتها الحقيقية.

٢ — ألا يذكر المحب لحبيبته طبيعتها الأصلية فيما بعد .

وهذا الشرط الأخير قوى جدا و ينتشر على نطاق واسع بين قبائل هنود أمريكا الشمالية ؛ حيث يعتقدون أن « النساء الثعالب » أو « ثيران

النساء » تعدن فى الحال إلى فصيلتهن الحيوانية بمجرد ، ذكر أصلهن ولو بالصدفة . وهذه المحرمات مصونة جدا ، لدرجة أن المستمع للقصة المحكية حينما يدرك ارتكاب محرم من هذا النوع ، يتنبأ فى الحال بوقوع مأساة فى التو واللحظة . ويمكنك الرجوع إلى الحديث عن المحرم الأخير فى كتاب « قصص البولو من مجموعة اين . كروج » الذى حرره ميلفيل هرسكوفتيش .Melville Herskovits

ونعيد ثانية ماقلناه فى المقدمة أنه قد تم كثير من التعديلات المقصودة ، وهى تظهر بوضوح فى هذه النسخة من القصص التقليدية . وفى الواقع قد قمنا بهذه التعديلات حتى نكيف القصة للمستمع الغربى وحتى نجعل مناظرها وظروفها تتماشى مع العصر الحديث . كما يجب أن نلاحظ أنه لا يوجد أى اعتراض لتعدد الزوجات فى المجتمع النيجيرى فهو يتماشى مع التقاليد المرعية هناك .

٢ - « الصياد والساحرة »

إن الدافع لرغبة الصياد العارمة لاستحواز تلك المرأة يرجع إلى كل من جمالها و بعض الإعتبارات الإقتصادية الأخرى . إذ نجد أنه فى إمكانه الحصول على امرأة مثيرة الجمال دون أن يدفع لها ماليا واحدا .

والجنية المحبوبة فى هذه القصة شخصية أكثر شراسة وعنفا من تلك الموجودة فى « البجعة العذراء » . فبالرغم من أنها لا تبدو من النظرة الأولى ساحرة عادية الا أنها تحتفظ ببعض الصفات التى اتصفت بها الساحرات فى قرون عديدة . فهى مخلوقة متقلبة تغير شكلها تبعا لمقتضيات الظروف فتحولها الى كتلة من الأسنان ليس بالتغير البسيط أو العادى ، حتى ولو بالنسبة لساحرة فى القصص الغربية . أما ظهورها أمام البطل فى شكل امرأة جميلة فهو مناورة محبوبة لتستحوز اهتمامه . أما رغبتها فى امتصاص الدماء فهذا يدعونا الى تذكر الخفاش ؛ ولكن يجب ألا ننسى أنها تختلف عن الكائنات التى تتخذ شكل غول ، لأنها امرأة حية وليست من الأشباح الميتة . و يبدو أن هناك تأثير ما للمخلوقات المحولة وعلى وجه الأخص الضباع المتحولة ، وهى مخلوقات شائعة فى القصص الشعبية الأفريقية .

أما النهاية التى تبتدئ بتجربتين وتنتهى بالثالثة فهى احدى المعتقدات الشعبية الشائعة ، أما المحاولة الرابعه فهى دائما ما تبوء بالفشل فى التقاليد الشعبية . أما الهروب من شجرة الى أخرى ؛ والمخلوق الذى يسقط بأسنانه أشجاراً متتالية ثم تنقذه كلابه المخلصة أخيرا فهى عناصر نجدها فى قصص شعبية أفريقية كثيرة خارج نيجيريا مثل قصة « كتشودومودونو »
Kchodomoduno

٣ – صياد كان ملكا

يوجد بين القصص الشعبية العالمية أكثر من ستين موضوعا تتحدث عن محرمات و التزمات موحدة . وربما أعظم هذه القصص شيوعا قصة « الحجرة المحرمة » وهى التى تتناول موضوع ذو اللحية الزرقاء الذى أخفى جثث زوجاته اللاتى قتلهم بيديه فى تلك الحجرة بالذات . ويمكنك أن تقرأ قصة أفريقية مشابهة لهذه إنتقلت إلى أمريكا ألفها « إيلسى كلوز بارسون Elsie Cleues Parsous » فى كتابه « القصص الشعبية لجزر البحار جنوب كارولينا » .

وتجد أن « الصياد الذى كان ملكا » تدور قصته حول موضوع « الباب المحرم » ؛ ولانجد سببا وجيها لهذا التحريم كما هو الحال فى كثير من القصص ـ فقد نجد شيئا مخبئا خلف ذلك الباب بل إنه مجرد تحريم ضد فتحه . وفى بعض الأحيان يكون هذ التحريم بمثابة اختبار لمدى طاعة أو إخلاص البطل أو البطلة : فهو أوهى قد وافق على عدم النظر خلال حجرة من الحجرات . وعقوبة العصيان قاسيه فى العادة وقد تصل إلى الموت . أما هنا فنجد أن الصياد يفقد جنته بدون رجعة إليها . فلقد أدرك هذا الصياد ما وصل إليه من مركز وما ينعم به من راحة ؛ ولكنه وقع فريسة

لحب الأستطلاع ، ففقد مركزه وعاد إلى شقائه . وكما لم يكن أمام الصياد فى قصته « الصياد والغزاله » أية فرصة أخرى فكذلك كان الحال مع هذا الصياد . لقد نسى الصياد النصيحة التى أسديت إليه ، وهذا الأختبار يطأطىء النظارة النيجيرى له أذنه ليرى نتيجته ـ إنه الإغراء الذى أنسى الصياد نصيحة الشيخ بالرضاء بما يعطيه الله له . فبعد أن قنع ورضى باقتفاء أثر التمساح خضع أخيراً لعدم القناعة الذى حذره الشيخ منها .

وعامل الزمن له وزنه ومقاييسه فى قصص السحر . فبالرغم من أن السنوات التى يقضيها الصياد فى العالم الآخر (فى هذه القصة) كانت عديدة جداً لدرجة مكنته من رؤية ذريته وهم يكبرون أمام عينيه، إلا أنها لم تضيع يوما واحداً تحت الشمس . فحينما ذال عنه عامل السحر كان مازال فى نفس اليوم الذى نزل فيه الحفرة ، لأنه حينما خرج لم تكن قد مرت عليه سوى ساعات قلائل ، فحمل سلاح صيده وكان عبارة عن بندقية وفأس فى نفس المكان الذى تركه فيه .

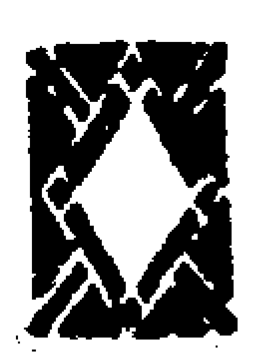
٤ ـ الامير الذئب

من الممكن جدا أعتبار هذه القصة من قصص الغش والخداع : فهى قصة شاب حاذق استغل والدا متهورا عن طريق الأستخفاء والتنكر وبهذا كسب الإبنة الجميلة الوحيدة لذلك الرجل . ولكن هناك تشابها كبيرا بين هذه القصة وبين مجموعة كبيرة من القصص التى تقص رواية زوج أو عاشق مسحور يزول عنه مفعول السحر فيما بعد . إنها مثل قصص « الحسناء والوحش » الخيالية التى ظلت لمدة طويلة يعشقها شباب القراء ورواد دور الخيالة .

فى هذه القصص يحتم على الفتاة الزواج بوحش ـ إما لدين لا يستطيع الوالد تسديده وإما لأن الفتاة قد أثارت غضب ساحرة أو غضب أرواح شريرة أخرى . ودائما ما يتحول هذا المخلوق الى إنسان ؛ وهو فى كثير من الأحيان يكون خطيبا لم تره حبيبته منذ وقت طويل ، ولكن قوة خفية سحرته ليظهر فى شكل وحش مفترس ، ولا تزول عنه اللعنة الا بعد أن تعشقة امرأة جميلة بالرغم من بشاعته . وتقوم الزوجة بهذا العمل فى نهاية المطاف . وفى هذه اللحظة يتحول هذا الوحش المفترس الى أمير وسيم وتنتهى القصة فى سعادة وهناء .

وعند سماعنا لهذه القصة النيجيرية نعرف ، نحن المستمعين ، أن هذه

الذئب ماهو إلا عاشق متنكر ، ولـكن وجه الشبه بينه وبين أنموذج الحسناء والوحش مازال يكمن فيه : اذا أن الأب فى لحظة من لحظات تهوره ، يلزم نفسه بقسم لا يمكن التهرب منه ؛ ولهذا فهو يدفع ثمن تهوره وتعجله بفقدانه أبنته المحبوبة ؛ أما ابنته فتظل مطيعة ونصاعة لأوامر والدها فى اللحظات الحاسمة ؛ فتتزوج الذئب ؛ ثم يتحول الذئب الى الأمير الذى تجده دائما فى قصص الجن ، وبهذا تتحول القصة من مأساة الى قصة رومانسية .



القصص السببية

لكل ثقافة بدائيه قصص تفسر كيف أصبحت الأشياء على حالتها الراهنة . ويبدو أن هذه القصص السببية كمثيلاتها من القصص الأخلاقيه قد نسجت أساسا من أجل الأطفال ، ولكن كلتاهما أقرب ماتكون إلى إلى ماتسميه المراجع بالأساطير . والقصص السببية تستميل إليها منذ الأزل مشاعر الأطفال .

فبالرغم من أن هذا النوع من القصص عالمى فى جذوره وأصوله إلا أن تفاصيله تختلف اختلافا جذريا من مكان لآخر ؛ وأعتقد أنه لا يوجد تشابه بين الأنواع لأخرى من القصص بمثل مابين هذا النوع من تشابه . وتبين القصة « لماذا تشبه القرود بنى الإنسان » تأثير الحضارة الغربية . فهذه عبارة عن قصة قديمة كساها الراوى اليوروبى برداء حديث بإدخاله البندقية بدلا من الرمح والسهم وإدخاله الطائرة بدلا من وسائل المواصلات التى لم تتقدم بعد فى المجتمعات البدائية .

٥ – لماذا توجد السماء بعيدة هكذا

دائما ماتحدى الإنفصال بين الأرض والسماء خيال الرجل البدائى ؛ حتى أننا لنجد قصة ماتفصل فى كل ثقافة من الثقافات أو مجموعة من القصص تحاول تفسير ذلك ، فنجد مثلا بين الهنود الأميريكيين أسطورة تقول بأن الأرض والسماء كانتا متحدتين ولكنهما انفصلا فى وقت قريب لإعطاء الجنس البشرى الفرصة للحياة . وكانوا يعتقدون أنهما والدى الإنسان : السماء أبيه والأرض أمه . والسماء فى قصة «ماالسبب فى تشقق السلحفاة واعوجاجها» مازالت قريبة جدا من الأرض لدرجة أن مخلوقات الأرض فى مقدرتها أن تتسلق إليها بحبل يدلى منها .

إن التفسير النيجيرى لايضارع فى قدرته ، ولم يصل فى براعته إلى خلق أسطورة مثل « الفردوس المفقود Paradise Lost » . فحياة البشر فى عصر ذهبى جعلهم ينسون فضل الله عليهم فطردهم من جنته ورحمته . ولكننا نجد أن الجريمة المعينة التى تثير غضب الله تختلف هنا عن خطايا الضالين المذكورين فى التقاليد العبرية والمسيحية واليونانية .

وهذه القصة مثل قصة «الاختبار» تدل على التوحيد بالله وعلى وجود الديانة الشرقية الإسلامية مما يدل على تأليفها فى عهد قريب .

و إن مايثير اهتمامنا فى هذه القصة هو الإشارة إلى زمن قديم حينما كانت أعين الرجال مثبتة فى ركبهم . فهل هناك تقارب بين هذين المخلوقات وتلك التى وصفها السير «والتر رالى» بأنهم« ... شعب لاتعلو أعينهم عن أكتافهم » ؟ . وفى الواقع كان هذا الإعتقاد منتشرا بين الإليزابيثيين . (أنظر « العاصفة » لشكسبير الفصل الثالث المنظر الثانى ؛ « وعطيل » الفصل الأول المنظر الثالث)

٦ - لماذا لايخرج الخفاش الا ليلا ؟

تبدو هذه القصة أنها أكثر القصص السببية انتشاراً فى نيجيريا وخصوصا بين شعوب اليوروبا والإيبو . وهناك أوجه شبه بين هذه القصة النيجيرية التى قصها أولا والى إيديوى و بين أسطورة « آيسوب » عن الخفاش ، والطيور والحيوانات ، من حيث الشخصيات وطبيعة الصراع فيما بينها .

٧ - اليد والاصابع

هذه القصة لايوجد شبيها يطابقها لابين القصص الآفريقة ولا بين القصص السببية فى الثقافات المختلفة .

ويجب أن نلاحظ أن راوى هذه القصة استخدم التعبيرات الآتية : « الإصبع الأول » و « الإصبع الثانى » و « والإصبع الثالث » ولم يعط لها أسماء ، ويبدو من الواضح أنها لم تتخذ أسماء فى علم المصطلحات النيجيرية .

٨ – ماالسبب فى تشقق محارة السلحفاة واعوجاجها

تشبه هذه القصة إلى حدما قصة « افتح ياسمسم » وهى تتخذ أشكالا كثيرة فى الثقافات الأخرى . فنجد فى هذه القصة ، كغيرها من القصص الأفريقية المشابهة ، والتى تعالج نفس الموضوع أن الهدف من دخول الكهف أو الحجرة هو الحصول على الطعام وليس الحصول على الذهب. ولكن يوجد جزء من قصة « ماالسبب فى تشقق محارة السلحفاة واعوجاجها» لايدخل فى موضوع قصة « افتح ياسمسم » وإن كانت القصة تنتهى بنفس الطريقة تقريبا.

فبعد أن يعرف البطل الطريق إلى الثروة ، يتجسس عليه شخص آخر بطريقة ماحتى يعرف سره أخيرا . ولكن هذا الأخير لايتمتع بثروة البطل لأى سبب من الأسباب (العديدة) . فهو دائما ماينسى كلمة السر التى تفتح الباب ؛ فيسجن فى حجرة الكنز ، ثم يقتله مالكها حينما يعود . فنجد هنا أن المتطفل لايتمتع بالمشاركة فيما قد يجود به الكنز . فيقرعه المالك الحقيقى على الأرض وتناله إصابة بالغة . وتفقد السلحفاة هنا فرصة الشفاء ومداواة محارتها لعدم شكرها للنمل الذى ساعدها .

وتدل هذه القصة أن السلحفاة فى غير عقلها الطبيعى ، لأن معظم القصص التى وردت بعد ذلك دلت على أنها أحكم الحيوانات فى نيجيريا ، ولكن كان لابد تعليل سبب تشقق محارتها بطريقة ما . أما عن فطنة الكلب وحذاقته فتشير إلى أن قصته قد تولدت فى مكان ما إلى الجنوب من قارة آفريقيا ، ربما بين الهوتنتوت حيث تتمتع الكلاب بمركز عظيم ؛ كما أن « أبن أوى » يعتبر أحكم الحيوانات وأعقلها .

وبالرغم من أن عادة أكل كبيرات السن من النساء ليست منتشرة فى نيجيريا ، فى العصر الحاضر ، إلا يبدو أنها كانت تمارس فى زمن ليس ببعيد وانعكست هنا فى قصة حيوانية . (وتدل سجلات البعثات التبشيريه أن عادة أكل البشر كانت مازالت موجودة بين بعض القبائل الضئيلة حتى ١٩٢٠) . ولم تكن قصة « ماالسبب فى تشقق السلحفاة واعوجاجها » القصة النيجيرية الوحيدة التى تشير الى أكل الأم بين الحيوانات ؛ اذ أن هناك قصة سببية أكثر شعبية وشيوعا من هذه القصة وتعالج نفس الموضوع وهى . « لماذا تعيش السلحفاة بمفردها » (أنظر كتاب قصص شعبية من جنوب نيجيريا بغرب آفريقيا ص ٨٨ ــ ٩٠) لمؤلفه ايلفنستون دايريل Elphinstone Dayrell . أما عن كيفية انتشار هذه العادة بين الشعوب البدائية فغير معروفة ولكنها من الواضح ليست مقصورة على آفريقيا فقط . اذ يقول تشارلز داروين أنها كانت عادة يمارسها الفوجيون Fueg ians ـ وقد ذكرها فى كتابة « رحلة كلب البحر » الفصل العاشر .

٩ ـ لماذا يطارد الثعلب الديك

كان الثعلب أحد الشخصيات الشعبية التى ذكرت فى جميع أنحاء العالم ، وقد يكون السبب فى ذلك هو انتشاره فى كل مكان . ونحب أن نسأل كم مخلوق آخر استطاع أن يكيف نفسه مع الظروف المعيشية المتغيرة فيما بين الدائرة القطبية ومدينة الكاب ؟ فهو يظهر دائما فى القصص الهندية التى ظهرت بعنوان « بانشاتانترا » Panchtanatra وجاتاكاس Jatakas كما أن اثنتى عشر قصة على الأقل من قصص آيسوب قد ذكرت اسمه ، وتوجد أيضا سلسلة كاملة من القصص فى أوروبا القرون الوسطى عن الثعلب « رينارد Reynard » ويعتبر الثعلب أكبر مخادع فطن فى المملكة الحيوانية لدرجة أنه ينافس بنى الإنسان فى فطنتهم وذكائهم ؛ ويظهر هذا الموقف فى قصه كتبها كارل كرون Kaarle Krohn تحت عنوان Mann Und Fuchs الرجل والثعلب .

ودائما مايكون الثعلب غريم الدب (مثل كيف فقد الدب زيله) أو الأرنب (مثل قصص الخال ريمو العديدة وعلى وجه الأخص قصة ابن التار) ، وأعظم قصه تمثل الثعلب « الديك الصياح » لتشوسر Chaucer وان تفسير شعب اليوروبا لمطاردة الثعلب للديك تجعل « رينارد » أكثر انسانية عما اعتاد عليه ؛ فهو لايهتم الا بعرف الديك !

وقد حرر « هيرسكوفيتس Herskovits » « قصص البولو » وكان من بينها قصة كاميرونية مماثلة وهى « كيف كان الذئب دائم الخوف من الخراف » ففى هذه القصة أيضا نجد أن الحيوان الأكثر قوة ووحشية كان فى الأصل يخاف من ضحيته التى أصبحت الآن غذاءه المحبوب . ويجد المستمع الأفريقى مادة للضحك والمرح فى هذا النوع المتضمن من السخرية .

١٠ – لماذا تشبه القرود بنى الإنسان

يبدو أن المتناقضات التى ذكرت فى هذه القصة لا يهتم بها المستمع الذى تروى له ؛ فالطائرات قد دخلت فى العنصر الإنسانى ، ولهذا أشاروا اليها فى هذه القصة بالرغم من أن القرد أكثر قدما من مخترع الطائرة نفسه .

ونجد هنا أن السلحفاة هى المفكر الحكيم والناصح العاقل وصانعة المغزى الأخلاق .

١١ - لماذا تقدر التوائم في سيركى

يعتبر مولد التوائم حادثة غريبة لدرجة أنه يثير دائماً رد فعل قوى فى المجتمعات البدائية ـ ويكون رد الفعل هذا إما محبوباً أو مكروهاً . ويمكن رسم خط يفرق بين هذين الموقفين المتناقضين فى غرب أفريقيا يبتدىء من وسط نيجيريا ، وشعب اليوروبا وساحل الذهب وساحل غينيا وجيرانه غرباً (وهؤلاء يقدرون ويحترمون التوائم) أما الإيبو ودلتا النيجر وقبائل الكمرون فيكرهونهم جداً .

فمولد مثل هؤلاء التوائم عند الايبو يشعرهم بأن المجتمع سيمتلىء فساداً وأمراضاً ، ولهذا يجد كل فرد نفسه « ... مضطراً لأن يلقى فى فى الشارع أخشاب موقده ، وطعامه المطهى ، ومائه الذى جلبه فى الليلة الماضية ؛ ويذكر ا . ج . ليونارد فى كتابه « النيجر الأدنى وقبائله » ص ٤٦١ أن مجىء التوائم يعتبر شيئاً بشعاً ومنافياً للطبيعة بل ونذير سوء ، وبشيراً بوقوع أحداث مخيفة فى المستقبل . ولهذا كانوا يقتلون التوائم ، ويجبرون الأم على الاعتراف بجريمتها ثم يقتلونها أو يطردونها الى الغابة بعد ذلك ، حيث يتركونها تموت جوعا أو تلتهمها الحيوانات المفترسة . أما فى منطقة « بنين » Benin فقد يستطيع الرجل الثرى أن ينقذ حياة زوجته

بتقديم إمرأة أخرى بدلها ؛ ولكنه بالرغم من هذا لا يمكنه أن يبرئها من ذنبها (أنظر كتاب م.هـ . كينجزلى «دراسات فى غرب آفريقيا» ص ٤٥٥.

ولقد شيد الإيبيبيو (Ibibios) «مدن التوائم» فى منطقة نهر كروس Cross River لتكون ملاذا لمثل تلك الأمهات التعيسات . وتعتبر هذه المدن فى بعض الأحيان أماكن « للتوبة » حيث تتطهر فيها أمهات التوائم ؛ وتتراوح مدة « الحجر » بين أسبوعين وعام كامل .

أما اليوروبا فهم يبجلون ويحترمون التوائم وكان نتيجة لهذه التقاليد أن نشأت « طائفة التوائم » التى انتشرت على نطاق واسع بين « زنوج العالم الجديد» . (أنظر تعليق ميلفيل هيرسكوفيتس فى كتابه «القاموس المنمط للقصص الشعبية، والديانات والأساطير» حررته ماريا ليتش Maria Leach ويعتبر سكان نيجيريا توائمهم كأبطال فى ثقافتهم بنفس الطريقة التى كانت تستخدمها شعوب حوض البحر المترسط . (أنظر مؤلف ج . رندل هاريس J. Rendel Harris « طائفة التوائم السماوية » .

وإن ما نجده هنا فى قصة « لماذا تقدر التوائم فى سيركى » يعتبر مبرراً لعبادة التوائم عند اليوروبا الذين يعيشون على حدود المنطقة التى يكرهون فيها التوائم . إنها قصة سببية بارزة جدا ولها مغزى محلى .



الأساطير الأخلاقية

بينما نجد أن معظم قصص اليوروبا تتضمن هدفا أخلاقيا ؛ فإننا نجد أن أكثرها تقوم فى نفس الوقت من أجل هدف آخر . ويبدو أن كل قصة من الثلاثة عشر أسطورة التى وردت هنا قد خلقت فقط من أجل الهدف الأخلاقى الذى ترمى إليه . ومعظم هذه القصص يشبه إلى حد كبير قصص « آيسوب » وأساطيره ؛ كما أن المجموعة القصصية اليونانية تشبه القصص الشرقية القديمة جاتا كاس Jatakas وبانشاتانترا Panchatantra فمن إذن يستطيع أن يحدد الطريق الذى سلكته هذه القصص إلى نيجيريا — إذا ما سلمنا بأنها منقولة عن أصل قديم ؟ وعلى أية حال إن ما يهمنا هو وجه الشبه الملحوظ بين هذه القصص وأساطير آيسوب « Aesop » .

١٢ - السلحفاة وقدح الحكمة

بالرغم من أن الثعلب شخصية شائعة فى القصص الشعبية الآفريقية إلا أنه لايعتبر أحكم الحيوانات وأفطنها فى القارة السوداء كما هو الحال فى أوروبا . ويختلف اختيار أفطن الحيوانات من قبيلة لأخرى ؛ ففى جنوب شرق أفريقيا يؤمنون بالأرنب ؛ وعند الأشانتى : العنكبوت ؛ وبين الهوتنتوت : ابن آوى - أما فى نيجيريا ، وعلى وجه الأخص بين شعب اليوروبا ، فقد أضفى هذا الشرف على السلحفاة .

فالسلحفاة تتسم بالمخادعة والنصح (كما هو الحال فى « لماذا تشبه القرود بنى الإنسان ») كما أنها اتخذت بطلة لعدة قصص وأساطير . ولانجدها تتحالف مع النجاح دائما فى مغامراتها ؛ لأنها قد تفشل أحيانا كما عرفنا فى القصة السببية التى تفسر لنا سبب تشقق محارتها ؛ ولكن سواءأ كسبت أم خسرت فهى تتخذ دائما موقف المفكر الثاقب الفكر .

وقصة «السلحفاة وقدح الحكمة» شائعة فى أفريقيا بما لها من أشكال مختلفة فى روايتها . وقد اقتبس كورلاندر Courlander هذه القصة مرتين فى مجموعته القصصية من أجل صغار الشباب : أولها فى «رقصة القبعة المهتزة» ص ٣٠ - ٣١ حيث نجد بطل هذه القصة عنكبوتا ؛ وثانيها فى « قدح

تيرابين للمشاعر » . وكلتا القصتين التى كتبهما كورلاندر تعالج القصة بتفسير أشمل وأوسع من معالجة المستر إيديوى لها . لأن ما نجده هنا عبارة عن الخطوط العريضة للقصة عارية من الدوافع وتشابك الشخصيات الذى نجده فى القصص الأخرى .

١٣ - الإختبار

هذه القصة عبارة عن صورة أخرى للقصة الأصلية التى تعالج موضوع السائل المسكين الذى يعتمد على الله والسائل الآخر الذى يضع أمله فى الملك . وموضوع هـذه القصة يدور حول سائلين ذهبا إلى قصر الملك ليسألاه معروفا فيعطى أحدهما رغيفاً عادياً ويعطى للآخر رغيفاً ممتلئا بالذهب . ثم يتبادل الرجلان الرغيفين لعدم معرفتهما مايوجد فى رغيف كل منهما وبهذا يكافأ السائل الشديد الإيمان بالله . ولقد كانت هذه القصة من الشيوع بمكان بين الأوربيين والشرقيين فى العصور الوسطى لدرجة جعلت « ستيث تومبسون Stith Thompson » يتردد فى أن يسميها قصة شعبية . ومن الواضح أنها قد انتقلت إلى نيجيريا بطريقة روائية لانعرف أصلها .

ولكن تحوير القصة فى أدب اليوروبا يزيد من قوة الميلودراما ؛ كما أن التزامها بالميول الأخلاقية النيجيرية تجعل رسالتها وهدفها أكثر وضوحا . فبدلا من أن يفقد « الشخص المحروس بعناية الملك » مكافأة بسيطة نجده هنا يفقد حياته ، ويضطر الملك حينذاك إلى الاعتراف بمقدرة ورفعة الإله . وإن كل مارأيناه من قصص متشابهة قريبة إلى حد كبير

إلى الأشكال القصصية الموجودة فى أوروبا وآسيا . [أنظر أيضاً القصة السنجالية المشابهة فى كتاب « مجموعة القصص الشعبية السنجامبية » الذى ألفه « لورنت بيرنجر — فيراود Laurent Bereuger—Féraud » ص ١٤٥ . ويمكن كذلك رؤية بعض القصص المحوره لهذا النوع عند شعب الهوسا فى شمال نيجيريا — وقد جمعها ا . ج . تريميارن فى كتابة « خرافات الهوسا وتقاليدهم » ص ١٨٣ .

وتصف أسماء الشخصيات سمة أصحابها عند اليوروبا وهنود شمال أمريكا . وأمثلة ذلك الكلمة ألوهن — يو Olohun-iyo التى تعنى « رجل ذو صوت جميل » وكلمة إيمودويى Imodoye التى تعنى « الحكمة المتضافرة مع الذكاء ؛ وكلمة Ego—jye إيغو — يى تعنى « جسده مغطى بالريش بدلا من الشعر » ولهذا فإنه من المعقول جداً استخدام الإسم « محروس برعاية الله ولا يستطيع الملك قتله » فى قصة « الإختبار » وهذا الإسم ليس مجرد صفة للرجل نفسه بل هو اسمه الحقيقى .

١٤ – الرجل والحمامة والصقر

يبدو أن المثل الأخلاقية بالنسبة للقصص الشعبية التقليدية تميل إلى أن تتخذ شكل حكم قصيرة . ونجد فى هذه القصة كما وجدنا فى قصة « الفيل والسلحفاة » أن الإطناب والإسهاب فى تفاصيل القصة ماهما إلا مجهود واعى لتوضيح مغزاها للمستمع الغربى .

١٥ – الكتكوت المشاغب

« استثارة الفرد عند رؤية صورته فى الماء » موضوعا وجد طريقه فى كثير من القصص الشعبية . فهناك قصة شائعة تحكى قصة حيوان — دائماً ما يكون إما ذئب (فى أوروبا) وإما ضبع (فى أفريقيا) — يرى القمر منعكسا على أحد الجدران فيظنه قطعة جبن فيحاول التهامها فيصطدم بالحائط عدة مرات دون جدوى . [أنظر مؤلف بوس ، س كامبا سيمانجو Boas and C. Kamba Simango « قصص وحكم مأثورة عن شعب فاندو جنوب أفريقيا البرتغالية » .

وفكرة القصة التى عرضها أولا والى إيديوى هنا هى فكرة شعبية ومشهورة فهى قصة المخلوق الذى يهاجم ظله فى الماء ولكنها تختلف باختلاف الراوى والبيئة . ودائماً ما ينظر إلى هذا النوع من القصص على أنه هزلى ينتمى إلى قصص الدمى الصامتة . وهذه القصة التى نحن بصددها غرضها الأساسى تعليمى : — « إذا ما تجاهل الإنسان تحذير والديه وعصاهم فإن عاقبة ذلك وخيمة » .

١٦ – الأسد والعنزة

لم تنل قصة فى أفريقيا حظا من الذيوع والإنتشار أكثر من أسطورة الحيوان المنكر للجميل . وتضع أوجستا كاليبل Angusta klipple تحت موضوع هذه القصة ثمانية وأربعين تحويرا لها جمعتها عن معظم القبائل التى تسكن أعالى النيل وألقتها فى محاضرتها عن القصص الشعبية التى لم تنشر هلة بعد . والشكل التقليدى لهذه القصة يقتضى وجود قاض (دائما ما يكون القاض الثانى أو الثالث الذى تعرض عليه ظروف القضية) يدعى جهله بالطريقة التى تحرر بها الحيوان الناكر للجميل ، فيسأل كل من الشاكى والمشكو فى حقه إعادة تمثيل الحادثة . وبعد ذلك يترك المشكو فى حقه على حالته الأولى التى كان يتألم منها وبهذا يكون نكران الجميل قد عوقب .

ولقد وجدنا أن القصص المحورة لهذا الموضوع عند كل من الهوتنتوت والشيللوك والفاى ، والساهو ، والبامبارا تشبه إلى حد كبير القصة الأوربية التى يكون فيها المخلوق الناكر للجميل هو الثعبان ، وضحيته هو الإنسان؛ ويكون القاضى الأخير الذى يحكم فى القضية هو المخلوق الحكيم الذى يؤمن به سكان المنقطة التى نسجت فيها تلك القصة فلذلك قد تجده : ابن آوى ، أو عنكبوتا ، أو أرنبا ، أو سلحفاة . وهذه القصة اليوروبية هى المثل الوحيد الذى وجدنا فيه الإنسان هو القاضى .

١٧ - الاسد والسلحفاة والدب

يعتبر الهدف الأخلاق لهذه القصة هو العنصر الذى فرض فرضا على حالة العداء الموجودة فعلا فى مملكة الحيوان . و إذا مانظرنا إلى هذه القصة على حالتها الراهنة فسنرى أن هدفها الأخلاقى يعتبر هدفا أدبيا أكثر مما هو حكمة شعبية ؛ ولكننا يجب أن نأخذ فى حسباننا أن الترجمة من لغة اليوروبا إلى أى لغة أخرى قد تحور الهدف الذى ترمى إليه القصة . وكانت تبدو الحكمة المأثورة التى وردت هنا ، وكأنها ملاحظة عادية جدا بالنسبة للراوى ، وربما كانت كذلك فى مفهوم لغته .

ونجد هنا أن السلحفاة هى المفكرة لأنها هى التى أجرت اختبارها على الإتفاق الذى وصل إليه الأقطاب الثلاثة . فلقد قادتها فطنتها إلى اختراع رحلة قصيرة مكنتها من قياس مدى مقدرة حلفائها وتنفيذهم لما اتفقوا عليه .

١٨ - الذنبور والنحلة

هذه القصة سببية من الصميم ؛ لأنها تفسر سبب عدم استطاعة الذنبور صنع العسل كما تفعل ابنة عمه النحلة . ولكن تتضمن هذه القصة أيضا هدفا أخلاقيا محدداً وهو : الصبر فضيلة . ونجد أن الشخصية التى لا تحصل على نصف ما تحتاجه من معلومات لتسرعها ، شائعة جدا فى القصص الشعبية . ولهذا نجد فى القصة الشعبية القديمة « كيف أصبح البحر ملحا » أن شراهة القبطان ورغبته فى معرفة ما ستطحنه طاحونته له ، تجعله يديرها دون أن يعرف كيفية إيقافها ؛ وتكون العاقبة وخيمة ومؤلمة .

١٩ ـ الاصدقاء الثلاثه والكنز

سيدرك القارىء بسهولة وجه الشبه الكبير بين هذه القصة وبين أسطورة جوفرى تشوسر « أسطورة الصفح » . ويصور لنا ذيوع وانتشار هذا الموضوع فى القصص الشعبية القديمة مدى سريان وذيوع القصة ؛ ورغم أن هذه الأسطورة قديمة ومأخوذة عن مصدر شرقى إلا أنها تبدو القصة الشائعة فى انجلترا فى القرن الرابع عشر بعد أن نقلها إلى أوروبا الغربية بعض نساجى الحرير . ولكن متى انتقلت هذه القصة ورويت فى شواطىء النيجر ؟ فهل رواها أحد أصدقاء بحارة تشوسر أم أحد تجاره على شعب اليوروبا ؟ إننا نعرف أنه فى ذلك القرن كان يشق البحارة المغامرون طريقهم مبحرين من الموانىء الإيطالية والبرتغالية إلى الهند ، وفى القرن التالى كانوا قد استطاعوا إنشاء محطات تجارية صغيرة على طول شاطىء غرب أفريقيا ، أم أن هذه القصة انتقلت إلى هذه البقاع مع قوات الإسلام التى اكتسحت الأراضى الأفريقية شمالها وجنوبها حتى تلحق بصفوفها خيالة وفرسان الهوسا الذين يقطنون نيجيريا الشمالية ؟

وفى الحقيقة إننا لسنا متأكدين إذا كانت هذه القصة قد رويت أول

مارويت على شعب الهوسا ؛ ولكن ما يهمنا بالتأكيد أن نعرف أن هذه القصة شائعة بين شعب النيوبى Nupes والفولا Fulahs وهى تلك القبائل الضئيلة المحدودة العدد التى تعيش بين الهوساوالجوعتين الرئيسيتين الجنوبيتين وهما اليوروبا والإيبو . أنظر « القصص الشعبية الأفريقية » ص ١٨٥ تأليف رينيه باصيت René Basset

٢٠ – السلحفاة والأرنب

الفرق الوحيد بين هذه القصة وقصة آيسوب التى تشبهها هو إدخال عنصر الحديث الباطنى الذى تجريه السلحفاة بينها وبين نفسها . فى قصة آيسوب تقبل السلحفاة التحدى دون أى تفكير ؛ فى حين أنها هنا تزن نتائج رفضها للتحدى كما كان يهمها جدا نتيجة السباق .

٢١ ـ السلحفاة والدب

٢٢ ـ السلحفاة والثعبان

هذه القصة تحوير لقصة الثعلب وأبو قردان ؛ إذ دعى الثعلب أبوقردان لتناول الغذاء معه ثم قدم له الشوربة فى طبق مسطح يمكنه أن يلعق هو منه بسهولة ، بينما لا يستطيع أبو قردان أن يلتقط بمنقاره شيئا . نتيجة لهذا يدعو أبوقردان الثعلب لتناول الغذاء معه ؛ ثم يقدم الغذاء فى إناء ذو رقبة ضيقة لدرجة لا تمكن الضيف من وضع فمه فيه . وبهذا يتمكن المضيف من إلتهام الطعام كله بمنقاره الرفيع .

وهدف آيسوب الأخلاقى من هذا هو : « من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم » .

ولقد تغيرت فى القصتين النيجريتين (اللتان قص أولهما أولاوالى إيديوى وثانيهما أومو تايو آدو) الشخصيات ، والدوافع ، والحبكة والهدف الأخلاقى . إن الشراهة تعتبر جزءاً من الدافع الذى يحرك الثعلب فى أسطورة آيسوب لأنه معروف بحبه للسخرية والمزاح ، فى حين أن

الدب والثعبان يبدوان مجرد حيوانات شرهة فى الأساطير النيجيرية. كما نجد فى الأساطير اليونانية أن كلا الحيوانيين يعتمد على صفاته وقوته الجسمانية الطبيعية فى حين أن وجه الإختلاف هو فقط الذى يعتبر الدافع إلى الصراع فى الأساطير النيجيرية . فالدب والثعبان يستغلان كبر حجمهما ، فى حين أن السلحفاة التى تعيش على شهرة ذكائها تخترع وسيلة تهزم بها منافسها . إنها مسألة الصراع بين الجسم والعقل . والدرس الأخلاقى النيجيرى ذات قدرة وتأثير فعال : « فالرجل يعلم الرجل أن يكون طويلا أو كبيراً ».

٢٣ ـ الغراب المغنى

٢٤ ـ فأر المدينة فأر القرية

هاتان الأسطورتان قريبتى الشبه جدا بالأساطير التى كتبها آيسوب والعنوان الذى أعطاه آيسوب للقصة الأولى هو : « الثعلب والغراب » ولكن من ناحية المادة الموضوعية فهى واحدة فى القصتين . وعند معالجة شعب اليوروبا لموضوع القصة الثانية قد اختصروه لحد كبير لأنهم لم يذكروا مطلقا زيارة فأر المدينة للقرية .

٢٥ - الحسد يقتل

قصة نجاح الإبن الأصغر من أكثر المواضيع القصصية انتشارا فى القصص الشعبية وقد اتخذت فى أوروبا عنوان « سيدات المغزل بجوار الينبوع » . ويعلق ستيت تومبسون على هذا النوع بقوله : « أنه موجود فى جميع القصص الشعبية الشعبية المنتشرة فى أوروبا وجنوب وشرق آسيا ، وشمال أفريقيا ووسطها ، وشمال أمريكا وجنوبها » . وفى بعض الأحيان يكتبون هذه القصة بمزيد من التفصيل .

وهذا النوع يسير على نمط القصة الحكية البسيطة . إذ تدور حوادثه دائماً حول طفل صغير لايحبه الجميع — وهذا الطفل يكون فى العادة ابنا تبناه أحد الأشخاص ؛ ثم يتلقى مكافأة وثروة كبيرة لاجتهاده وتواضعه وطاعته . وحينئذ تشعر أم أحد الأطفال بالحسد تجاه ذلك الطفل الصغير ، وتتملكها الرغبة فى الحصول على ثروة لطفلها المحبوب فترسله إلى نفس المكان الذى تلقى فيه الطفل الآخر مكافأته . ولكن هذا الطفل المحبوب لا يتمتع بنفس السمات والصفات التى يتميز بها الطفل الآخر ؛ فيعصى توجيهات الإله أو الروح المانحة وبهذا يناله العقاب بدلا من الثروة ، ثم ينتهى أمره بالموت .

ومن المحتمل أن هذه الأسطورة قد انبثقت فى الأصل من إله مائى لأن الماء يبدو عنصرا ملائما لوقوع مثل هذه الأحداث فيه . ففى القصة الأوروبية يسقط مغزل الإبنة الصغرى فى أحد الآبار فتنزل لتستعيده ، ولكنها تقابل مخلوقا عجيباً تحت الماء يصف لها وسيلة الحصول على الثروة والسعادة . ونجد فى كثير من القصص الأفريقية أن الروح الطيبة ترتبط بشكل غامض بنهرين مختلفين . وفى إحدى القصص المعدلة لهذا الموضوع فى غرب أفريقيا نجد أن كلا من الأختين يوجهها الشيخ إلى الإستحمام فى النهر الأسود وليس فى النهر الأحمر ، فتطيعه الأخت الصغرى فتنجو من الهلاك بينما تستحم الأخت الكبرى فى النهر الأحمر فتموت . وفى إحدى القصص المعدلة عند شعب الهوسا لذين يسكنون شمال نيجيريا نجد أن النهرين يتدفقان ويجرى فى أحدهما ابن رائق بينما يجرى فى الآخر لبن كالصبر ، ولكن كلاهما محرم على الناس . فتمتنع الأخت الصغرى عن إرواء عطشها من كلا النهرين فى حين أن الأخت الكبرى تشرب من كليهما وبهذا تفقد المكافأة المعدة لذلك (أنظر : خرافات وعادات الهاوسا ص ٤٢٤-٤٢٥)

ويبدو أنه فى القصة اليوروبية فقد كل من نهر الموت ونهر الدم صفاتهما وسماتهما الأصلية مهما كانت تلك الصفات. ولم يكن يعرف الراوى إلا أن هذه الأنهار مجرد عقبات تعترض الطريق .

وتبدو العلاقة بين الأم والإبنة فى أسطورة « الحسد يقتل » أنها ذات مغزى جنسى . ففى هذه القصة لسنا محتاجين إلى الفتاة المتبناه فى القصص الأوروبية . لأنه من الممكن وجود صلات الدم بين كل من الأختين فى أسطورة وقعت أحداثها فى مجتمع متعدد الزوجات . ولا يحدد الراوى بالضبط نسبة أعمار الفتاتين ولكنه يذكر ذلك ضمنا : إذ أن الفتاة التى نجحت هى ابنة الزوجة الثانية .

ونجد فى « الحسد يقتل » كما هو الحال فى « الفيل والسلحفاة » أن الأناشيد لها قيمتها لأن كليهما عبارة عن قصة غنائية تستمد عنصر إثارتها من الشك والترقب عند سماع المحاورة الغنائية بين الشخصيات المختلفة ــ مثل تلك التى كانت بين الرجل المسحور « وآليك » ثم بين نفس هذا الرجل و « آبيو » . [وإذا أراد القارىء الإطلاع على مزيد من القصص البانتوية التى تستخدم هذه الوسيلة يقرأ كتاب ج . تورند « أمثال من القصص الشعبية عند البانتو »] .



قصص المخادعين

تعتبر قصص المخادعين فى بعض الثقافات المنتشرة من الشرق الأقصى إلى شمال أمريكا هى النوع المحبوب لدى الشعوب . وفى بعض الأحيان قد يكون بطلها شخص مفكر ذو سطوة وجاه مثل « أوليسيس » ؛ وفى بعضها الآخر قد يكون قاطع طريق أو محتال يحتال على ضحاياه ويعيش على امتصاصهم ؛ وأحيانا أخرى قد يكون مجرد شخص عادى يستغل الفرص التى تواتيها له الظروف ، أو يكون أبلها ينجح فى حياته رغما عنه كبطل « أساطير جاك » . ونجد فى ثمان قصص الخداع الواردة هنا أن المخادع يظهر تحت جميع هذه الأقنعة والأشكال إلا الشكل الأخير ، ولا تظهر روح السخرية والهجاء فى أى قصة أخرى من هذه المجموعة بمثل هذا الشكل .

٢٦ - ما عليك إلا أن تقول «ها»

هذه القصة تشبه إلى حد كبير قصة زبون المحامى . ويمكن إيجاد شكل أفريقى آخر لها فى كتاب صغير كتبه « ويليام باركر » و « سيسليا سنكلير » بعنوان « قصص شعبية من غرب أفريقيا » . ص ١٣٩ .

وجريمة السرقة من أوخم الجرائم فى نيجيريا ، وهذا يظهر أثناء المرافعة الناجحة فى هذه القضية . ونجد أن السرقة فى معظم المناطق تأتى فى المرتبة الثانية بعد القتل لأنها أسوأ الجرائم ضد المجتمع (ويمكن قراءة قصة أخرى تتضمن السرقة فى نفس هـــذا القسم بعنوان « الجسد الموضوع فى الكفن ») . ولكن الإحتيال على المحامى يعتبره المستمعون مادة للضحك أكثر مما يعتبرونه جريمة أخلاقية . ونجد هنا مثلما نجد فى كثير من الجمعيات الأفريقية أنه نادراً ما يكتبون أية عقود ، وكذلك لا تعتبر هذه العقود ملزمة للموقعين عليها اللهم إلا إذا كانت بين الأقارب .

ويجب أن تلاحظ أن قنصلية التاج البريطانى قد اشتركت فى محاكمة هذه القضية بالذات ، وهذا يعنى أن هذه القصة قد تكيفت بحيث تناسب الأحوال الاستعمارية فى أفريقيا . وإننا نجد فى نجيريا أن جرائم السرقة

التى لا تتصل بالمصالح البريطانية يحكم فيها الأمراء أو الملوك حيث تستمع فيها إلى ثرثرة المتهمين . ويميل القضاة الوطنيون إلى القسوة فى معاملتهم للصوص. فنجد فى أبيوكوتا أن عقاب جريمة السرقة إما قطع الرقبة أو جعل المجرم عبداً للأجانب «[أنظر كتاب روبرت كامبل Robert Campell» « رحلة إلى وطنى الأم » وكتاب « قصة رحلة بين شعب الإجبا واليوروبا فى أواسط آفريقيا» بين ١٨٥٩ - ١٨٦٠]

٢٧ - الاعمال الثلاثة

منذ زمن بعيد كان يكلف الزوج بالقيام بأعمال صعبة الأداء حتى ينال زوجته . وكانت قصة حصول يعقوب على راشيل أحد هذه القصص وكانت الأعمال تعين عليه أن ١ - يجعل الفتاة التى لاتتكلم مطلقا تتحدث معه ٢ - يجعل الحزينة المنقبضة الصدر تضحك ملء شدقيها . وكانوا لايصلون إلى هذا إلا بإيقاف عدد غفير من الناس أمامها ويلصقهم الزوج فى بعضهم بطريقة تثير الضحك . ودائما ما يحدد الشخص الذى يكلف الزوج بالقيام بمثل هذه الأعمال شروطا يعتقد أنه من الصعب تحقيقها ولكن بالرغم من هذه المصاعب التى يقيمها، دائما ماينجح العريس ويحظى بعروسه . وفى بعض الأحيان قد يساعد العريس حيوان أليف أو مخلوق من العالم اللادنيوى ؛ أو من العروس المنتظرة نفسها ؛ أو قد يكسبها باستخدامه لذكائه وفصاحته كما حدث فى هذه القصة

وأحد هذه الأعمال التى كلف بها الخاطب هنا وجدناها منتشرة على نطاق واسع فى آداب القصص الشعبية ؛ وخصوصا فى « ألف ليلة وليلة »: فرواية قصة ماتستمر لمدة معينة هو ما يصعب تأديته دائما فى رواية قصة ما . ولهذا لجأ الفلاح الذكى إلى استخدام وسيلة عظيمة وهى تكرار

نفس حادثة حمل حبات القمح ، وهى حادثة يرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد . أما الحادثتان الأخريتان فهما آفريقيتى الطابع فلم نستطع الإستدلال على أية أحداث مماثلة فى أية مصادر أوروبية أو غربية تعالج موضوعات القصص الشعبية .

٢٨ - السلحفاة وإشارة الحرب

حدد تومبسون فى فهرس موضوعاته تسعة وتسعين موضوعاً بما لها من تقسيمات فرعية عن أنواع الصراع التى يكسبها شخص ما عن طريق الخداع ؛ ومعظم هذه الموضوعات تتضمن اختبار القوة الجسمانية مثل : الجرى ، القفز ، قذف الرمح أو السهم ، المصارعة ، أو تسلق الجبال . وإشارة الحرب علامة شاع استخدامها فى الأساطير الأفريقية كما أن سب السلحفاة الضعيفة لمثل هذا الصراع أصبح شيئا شائعا كذلك .

ومن المثير حقا أن تقارن القصة التى وردت هنا بقصة شبيهة فى كتاب ألفه إلفنستون دايريل Elphinstone Dayrell بعنوان قصص شعبية من جنوب نيجيريا بغرب أفريقيا ؛ حيث تهزم السلحفاة غريمها لا عن طريق مقابلتها له وجها لوجـــه بل بهزها الحبل فى اللحظة الحاسمة فى حين أنها تكون قد ربطت طرف الحبل الذى يمسك الفيل بطرفه الآخر بصخرة ضخمة ، كما أنها تكون قد ربطت طرف الحبل الذى يمسك به فرس النهر بطرفه الآخر بشجرة كبيرة ؛ وبهذا تكسب التحدى . ونجد فى قصة دايريل أن السلحفاة تكسب علاوة على إنتصارها مكافئة مالية (تبلغ

عشرين ألف قرش) فى كل صراع على حدة ! أما فى هذه القصة التى نحن بصددها فنجد أن معركة الذكاء هى الهدف الرئيسى ولا ترمى السلحفاة لشىء إلا إلى الشعور بالرضاء .

ونجد أن الأرنب هو الحيوان المخادع فى جزائر الرأس الأخضر الواقعة بالقرب من ساحل غرب أفريقيا كما أن الحيوان المائى الذى يستغله الأرنب ضد الفيل هو الحوت .

٢٩ - الفيل والسلحفاة

تجرى فى أسطر هذه القصة ثلاث حبكات مختلفة بالرغم من قصرها وأولها : الخداع القاتل المبنى على التملق — وثانيها : الطائر الصديق الذى يحاول عبثا نصيحة الضحية — وثالثها : المرض الذى لا يشفى إلا بقلب حيوان معين . وأكل القلب سواء أكان أكلا رمزيا أم من أجل أغراض طبية يلعب دوراً كبيراً فى تقاليد وعادات شعوب بدائية كثيرة . وقد تجد فى بعض القصص أن القلب المرغوب فيه هو قلب قرد ولكن فى الغالب يكون قلب حيوان ضخم فى القصة الآفريقية : ففى ساحل الذهب مثلا يعتقدون فى قلب الفهد كدواء للمريض .

وهذه القصة التى نحن بصددها أحد قصص ثلاث رواها « أوموتايو آدو » تلعب الأنشودة فيها دوراً كبيراً . ففى القصة التى ذكرها لنا كان يغنى أغنية معينة كلما ذكر أن السلحفاة أو الطائر غنى أغنية كذا ، وكانت هذه الأغنيات ذات تأثير مثير وخصوصا بمصاحبة الموسيقى النيجيرية ذات النغمات المتعددة . وفى الواقع ليست لدنيا الوسائل التى تمكننا من كتابة « نوتة موسيقية » لتلك الموسيقى كما أنه ليس من الممكن ترجمة تلك

الأغنيات ترجمة صحيحة . فبالرغم من أن الراوى كان يروى القصة كلها باللغة الإنجليزية إلا أنه عند ذكر الأغنيات كان يغنيها بلغة اليوروبا ، ولذا فإن القصة عند روايتها مع الأغنيات يزداد تأثيرها وأسرها لأذن السامع لما للموسيقى من تأثير عظيم .

وقارع أجراس الملك ورسوله شخصيات شائعة بين شعب اليوروبا . فحينما يود الملك إلقاء خطبة بخصوص أمرما ، أو حينما يريد جمع جنوده للتعبئة العامة ، أو استدعاء شخصيات معينة إلى القصر يرسل بقارع أجراسه فى جمع أنحاء المدينة لاستدعاء الأشخاص الذين يرغب الملك فى حضورهم . ويحمل قارع الأجراس جرسين أحدهما كبير والآخر صغير ملتصقان جنبا إلى جنب . ويقرعها الرجل على التوالى بضربات سريعة أما الضربات الثلاث الأخيرة فتكون على الجرس الصغير وهى تدل على انتهاء قرع الأجراس : فيجتمع الناس من كل حدب وصوب فيحييهم قارع الأجراس باسم الملك بالطريقة الرسمية ثم يعلن عن الرسالة التى أرسله الملك من أجلها ، وبعد أن ينتهى قارع لأجراس من إعلانه ينتقل إلى حى آخر بالقرية ويعيد ثانية قرع الأجراس ويليها بإعلانه كلما اجتمع حشد كبير من الناس . ونادراً ما يتخلف أى فرد من أفراد القرية عن الاستماع إلى اعلان قارع أجراس الملك مادام قريبا من المكان الذى

يلقى فيه هذا الرجل إعلانه . وهذا هو السبب الذى جعل الطائر يعلم ببحث الملك عن شخص ما لاستحضار قلب فيل .

وهناك قصة يوروبية أخرى تشبه تلك القصة التى رواها أوموتايو آدو هنا إلا أنها تعطى سببا آخر لقتل الفيل وهو : وحشية الفيل . وفى القصة المحورة التى حررها م . ى . أوجوميفو M. I. Ogumefu نجد أن ذكر السلحفاة الذى يتطوع لأسر الفيل وإيقاعه فى الفخ قد وعده الملك بوعده الشائع لمن يقومون بأعمال البطولة فى القصص الشعبية : زواج ابنة الملك (أنظر « قصص السلحفاة » ص ٧) .

٣٠ - الفتاة التى عرفت الملك

شاعت فى القصص الشعبية فكرة عمل اختبارات للتعرف على شخص ما . إذ يجب على الشخص الذى يجرى عليه هذا الإختبار أن يتعرف على الشخص المحدد فى ظروف محيرة وصعبة ، مثل التعرف على طفل تاه منذ وقت طويل ؛ أو على خطيبة أبعدت عن قريتها ؛ أو على أشخاص معينين يسافرون فى زى تنكرى لايكاد يتعرف عليهم أحد حتى ولو كان أقرب الأقربين ولقد حدد تومبسون حوالى مائتى اختبار من هذا النوع وهى ماسماه « اختبارات معرفة الشخصية » . [ويمكنك إيجاد مثال آخر لهذا النوع من القصص فى « الزوجات الثلاث ووعاء الإخصاب » القسم الأخير من هذا الكتاب] .

وفى مجتمع اليوروبا يخفى الملك وجهه وجسده دائما ؛ وهذه العادة فى طريقها الآن إلى الزوال . ونجد فى المنطقة المحيطة بأبيوكوتا (وهى التى جاء منها أولاوالى إيديوى) أن وجه الملك لا يظهر مطلقا أمام رعاياه . [إقرأ كتاب روبرت كامبل « رحلة إلى وطنى الأم » كتب منذ مائة عام ويعلق على هذا الموضوع ص ٣١] إذا يقول :

« إن ملك أبيوكوتا الذى يعتبر جسده مقدسا لدرجة ترفعه عن أعين

الناس ؛ لا يسمح له مطلقا بترك القصر إلا فى مناسبات خاصة ؛ وإذا قدر له وخرج بعيدا عن أسوار القصر تقوم أحد زوجاته برعايته وتخفى وجهه عن الرعية بمروحة كبيرة . ولهذا فعند خروج ملك « أويو » مرة أو مرتين فى العام فهو يظهر أمام الجمهور بأغلى وأثمن مالديه من لباس واضعا فوق رأسه تاجا من الماس . ويمكن لأى فرد أن يحملق فى وجه الملك ماشاء له الله أثناء هذه المرة أو المرتين . أما فى إيلورين فلا يرى أحد الملك إلا من يخصهم جلالته بعطفه حتى ولو كان من بين حاشية الملك »

وعلى هذا فإن إدعاء هذه الفتاة ليس فقط مثاراً للجدل ؛ ولكنه أيضا انتهاكا لسلطان وقداسة الملك ومكانته وإن غباء وحماقة هذه الفتاة يقحمانها فى مشكلة عظيمة ،ولكن طيبتها وعطفها الكامن فيها يخرجانها من هذا المأزق . فلقد صادقت ببغاء من ببغاوات القصر بما أسدت له من خدمة وعطف ولهذا عمل على إنقاذها فى ساعة شدتها ؛ وهذا يعتبر مثلا رائعا من أمثلة المساعدات التى يقدمها حيوان أو طائر صديق .

ونجد فى هذه القصة أيضا أن أوموتايو آدو كان يغنى كثيرا من الأغنيات والأناشيد أثناء روايته لها .

٣١ - الجسد الموضوع فى الكفن

فى عالم القصص الشعبية ، يدور شك عظيم حول الأجساد الميته ، كما أنها أصبحت مثاراً للجدل ؛ فهل هى ستعود إلى الحياة ؟ أم أنها ستتحول إلى خفافيش ؟ وهل هى ميتة حقا ! فكم من أسطورة كتبت عن أجساد تتكلم ، أو جثة ينزف الدم من أنفها حينما يمر القاتل بجوارها ؛ أو جثة تبقى إلى الأبد شبيهة الحياة . ولذلك فإن كل جثة ميتة تدعو إلى الشك . ونتيجة لذلك يميل الرائى لها إلى التأمل والتفكير فيها . ولهذا فإن المخادعين فى هذه القصة النيجيرية يدعوننا إلى الشك حينما يخفون قنفذهم المسروق فى كفن مقفل .

ويبدو أن هذا الموضوع ليس شائعا فى آفريقيا بنفس القدر الذى يشيع به فى أوروبا وآسيا . والقصة الأفريقية الوحيدة المشابهة والتى تتناول هذا الموضوع هى « شانى وتاباك » وهى قصة كتبها ك . ه . ستيجاند C. H. Stigand فى مجموعته « قصص سوداء لأطفال البيض » ص ١٤٠.

٣٢ — المكافاة

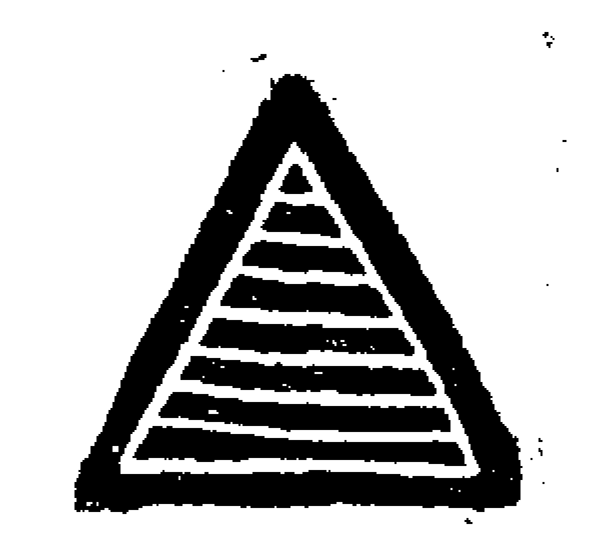
فى هذه القصة التى تعالج « الخداع القاتل » نجد أن الشخص المخدوع قد نسى كل ما لديه من حكمة وتعقل فى بحثه عن الطعام ، إنه مثل الذئب فى «ثلاثة خنازير صغار» الذى طهى فى قدر كبير . وإن السطر الأخير بما فيه من لعب على الكلمات يصور المزاح الرزين الذى يجده الفرد فى بعض الأحيان بين سطور الثقافات البدائية . وعند قراءة الإنسان لهذه القصة يتذكر القصة التى كتبها «أوليفر لافارج Oliver La Farge » بعنوان « الضاحك الهندى السعيد » .

٣٣ـ الحبيبان

لقد كانت قصة الزوج المخدوع الذى يضبط عشاق زوجته الأسطورة الشائعة فى العصور الوسطى . كما أن حادثة اختفاء العاشق فى زهرية أو طشت تظهر فى القصة الثانية من اليوم السابع من قصة «بوكاشيو Bocaccio» ديكاميرون Decameron » وإن كانت القصة الإيطالية تختلف عن القصة « اليوروبية » فى بعض تفاصيلها .

ولقد استطاع ريتشارد تشيس Riclard Chase جمع نفس القصص التى تدور حول هذا الموضوع بعنوان شاطىء كريك ـ شمال كارولينا تعرف بقصة « الزوج الثانى » ويقول تشيس (أن الزوج الثانى ـ هو الرجل الذى يدخل منزل الزوجة حينما يخرج زوجها !) أنظر كتابه «قصص شعبية وأغنيات أمريكية » .

وتوجد قصة مشابهة لقصة أولا وإلى أخذت من السودان الغربى أنظر « أمثال وأساطير البامبارا موسَّا ترافيل Moussa Travele » .



قصص الخصوبة

الرغبة فى إنجاب الأطفال قوية جدا بين شعوب اليوروبا ؛ وقد يرجع هذا - (ربما) - إلى الإحتياجات الغريبة لمجتمعهم الأبوى : فالزوجات اللاتى تنجبن أطفالا تصبحن دائما فى مركز مرموق محترم فى حين أن الزوجات اللاتى لا تنجبن أطفالا تشعرن بأن ذلك وصمة فى جبينهن . أضف إلى هذه الحالة سمو منزلة الناحية الأخلاقية للطفل فى نيجيريا (وازدادت هذه الناحية قدراً ورفعة بمحاولة بعض الأشخاص استخدام وسائل العقم) وعلى هذا يمكننا أن نتذوق ونقدر اهتمام الرجال والنساء بمسألة الخصوبة والإنجاب .

ونجدهنا أن الإلتجاء لآلهة الخصوبة لكى تنجب المرأة أطفالا أصبح شيئا معقولا وطبيعيا . فتضع النساء ثقتها فى إله الخصوبة « إيفا » بعد أن تقدم له الصلوات والعطايا وتأخذ على نفسها القسم المناسب ، كما أنهن قد يفعلن نفس الشيء بالنسبة للإله أوريشا - أوكو إله الأرض والمحصولات بوجه عام وإله الخصوبة الإنسانية بوجه خاص) . والدليل على استمرار الإعتقاد فى هذه الآلهة يظهر فى بقاء هذه التقاليد حتى اليوم وتكرار روايتها فى القصص الشعبية . وإننا نجد فى إحدى القصص التى وردت فى هـــذا

الـكتاب « الوعد » أن « أوريشا ـ أوكو يجيب توسلات المرأة ثم يصمم بعد ذلك على الحصول على التضحية التى وعدت بها . وبالطبع تعتبر هذه النهاية معقولة جداً بالنسبة لما نسميه « تقاليد مصطلح عليها » .

وهناك وسائل أخرى للحمل تلجأ إليها النساء ؛ ويمكن تحقيقها بطريقين: إما بالتوسل إلى الإله و إما بدون التوسل إليه . إذ نجد أن استخدام إناء الإخصاب المسحور فى القصص التى ذكرتها هنا دائما ينتهى بالحمل. وحينما حاولنا سؤال بعض الخبراء وأساتذة الأحياء فى هذه المسألة عن كيفية تأثير مثل هذه المواد قالوا أنهم لا يعرفون السبب ولـكنهم أكدوا أن هذه العملية حقيقية. إذ أن هذه العملية دائما ماتأتى بالنتيجة المرجوه .

وعلى أى حال فإن معظم القصص الخاصة بالعقاقير المسحورة الخاصة بالعقم والعنّة موجودة خارج أفريقيا عند الآيرلنديين واليهود وشعوب شرق الهند .

٣٤ - «الوعـــد»

يعتقد الكثيرون أن أرواح الأشجار أو آلهة الأشجار عندها المقدرة على بث الخصوبة فى المرأة [أنظر كتاب فريزر « الجذع الذهبى » للتعليق على هذا الموضوع] . ويعتقد أوموتايو أدو راوى قصة « الوعد » أن هناك شجرة معينة لها المقدرة على جعل النساء تحمل أطفالا ومن المعتقد أنها شجرة الكابلى Mahogany . ولقد أكد لى كل من أوموتايو أدو وأولا والى إيديوى أن ممارسة عادة الإلتجاء إلى آلهة الأشجار لإخصاب المرأة منتشرة بين شعب اليوزوبا ودائما ما تأتى بالنتيجة المرجوة .

وتذهب المرأة إلى شجرة يصحبها قسيس يبتهل ويتوسل أمام الشجرة من أجلها ، وبعد أن تتوسل المرأة نفسها إلى الآلهة وتعدهم بتقديم تضحية معينة عند ولادة الطفل يقدم لها القسيس دواء يجعلها تحمل . و بعد مرور فترة معينة من تناول هذا الدواء تحمل المرأة وتلد طفلا . وعندئذ تكون ملزمة بحمل التضحية التى وعدت بها إلى إله الشجرة .

ولقد وجدنا بين أساطير اليوروبا أسطورة إمرأة متهورة تعد الآلهة بوعد كلفها ولدها الوحيد . ويدور موضوع هذه الأسطورة حول إمرأة تدعى «موريمى» ذات جمال أخاذ وفضيلة سامية ؛ ألزمت نفسها بإنقاذ أهله

وطنها اليورو بيين من الغارات المدمرة البشعة التى شنها عليهم أعداؤهم من « الإيبو » فى تاريخهم القديم حينما كانوا فى « إيلى إيفى » Ile Ife . وأقسمت لإله مجرى إيسن ميرين Esin mirin بأنها ستقدم أعظم تضحية يمكنها تقديمها لوساعدها على تنفيذ خطتها بنجاح . وبعد ذلك غامرت بحياتها فاستطاعت أخيراً وبعد عناء أن تحطم شعب « الإيبو » وتنهى غاراتهم التى كانوا يشنونها على شعبها . وعلى هـذا ذهبت إلى مجرى إيسن ميرين لـكى تفى بقسمها للإله . وقدمت له ماعز ، جدى ، وثور ولـكن الإله لم يقبل هذه التضحيات ، وأخبرها القساوسة أن التضحية الوحيدة التى يقبلها المجرى هو ابنها الوحيد أولوروجبو Olurogbo ؛ فاضطرت إلى تقديم ابنها إلى الإله وفاء لقسمها . وحينما فعلت ذلك بجلها شعبها وأقاموا لها ذكرى طيبة .

٣٥ -- الزوجات الثلاث وإناء الإخصاب

تذكرنا هذه القصة بما قلناه في تعليقنا على «الفتاة التي عرفت الملك» من إجراء اختبارات للتعرف على شخص معين وتذكرنا كذلك بشيوع هذا النوع من القصص في الآداب الشعبية . وهذا الإختبار الذي رأيناه في « الزوجات الثلاث و إناء الإخصاب » يعتمد على إعتقاد الناس بوجود شعور كامن في الطفل يجعله يتعرف على أقاربه بسهولة و يسر .

٣٦ - « الرجل وإناء الإخصاب »
٣٧ - « السلحفاة وإناء الطعام المحرم »

حمل الرجل من بين الأشياء الممكنة والمقبولة بين القصص الشعبية العالمية . ويمكننا إيجاد أمثلة على هذا الموضوع بين القصص التي رواها الآيرلنديون والآيسلانديون ، والإسكندنافيون ، والإسكيمو . وإذا أردت قراءة ما كتبه هنود أمريكا الشمالية حول هذا الموضوع يمكنك قراءة كتاب روبرت ج . ميللر Robert J. Miller « الحبكة والتتابع في القصص الشعبية » . ولقد سجلنا في أفريقيا قصصا تعالج هذا الموضوع عند كل من شعب الباسوتو واليوروبا .

كتب المترجم

١ — أطلس الشئون الأفريقية .

٢ — الحلف الأطلنطى فى ساعة الإنحلال .

٣ — تاريخ الحرية الفكرية .

٤ — النقابات العمالية فى استراليا .

٥ — الإتحاد الأوروبى وسياسة الولايات المتحدة الخارجية

٦ — بحث فى النمو الإقتصادى والتخطيط .

٧ — القومية دين .

٨ — العالم الحديث يستيقظ .

٩ — كلهم أبنائى .

١٠— دراسات فى الواقعية التجريبية .

مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلى بالقاهرة